

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

كتاب الإيمان

الجزء الثالث

تأليف

عبد الله بن جهود الفريح

الألوكة

www.alukah.net

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يليق بعظمته وجلاله ، وأشكره شكراً يبلغنا به مرضاته ، ويزيدنا بسببه من نعمه ورحماته ، ومن أفضل هذه النعم نعمة العلم التي يجلو بها المؤمن ظلام الجهل والبدعة ، ويعبد الله من خلالها على بصيرة وحق ؛ وذلك بإتباعه للسنة ، فيا رب يسر لنا ذلك ، واجعلنا فيه من المخلصين ، ثم الصلاة مع سلام دائم على النبي محمد الخاتم ، المأمور بالازدياد من العلم فقال له الله - جل جلاله - : {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} فصلاة ربي وسلامه عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار ، ثم أما بعد :

أثر أمام عينيك - أخي طالب العلم - فوائد ، أرجو بها يوم القيامة عوائد ، قيّمتها أثناء دروس في شرح سفر من أسفار الدين لبحر من أبحر العلم ، وهذا السفر هو ثاني كتابين هما أصح الكتب المصنفة ؛ ألا وهو : صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١) بعد أن حذفت الأحاديث المكررة ، مع إضافة ما نحتاجه من روايات لصاحب الكتاب الأول أصح الكتب المصنفة صحيح الإمام البخاري ، ولا أزعم أي استقصيت كل فوائد الحديث ، ولكن جلّها ، مراعيّاً في ذلك عدم الإطالة والإخلال .

ومع ذلك التمس لي - أخي طالب العلم - عذرين أنا أعرف الناس فيهما بنفسي وهما : قصور المهمة ، وقلة البضاعة ، فأسأل الله لي ولك التوفيق للعلم والعمل ، بإخلاص ويقين بما عند الله من الأجر والمنن .
فهذا الجزء الثالث من شرح [كتاب الإيمان] من صحيح الإمام مسلم ، وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

كتبه / عبد الله بن حمود الفريح

الحدود الشمالية - رفحاء

forih@hotmail.com

تنبيه : لا يسمح بتصوير هذه المذكرة ، فلم يكن الباعث على إخراجها أن تكون في متناول الجميع ولم يُقصد بها النشر ؛ لأنها بضاعة لا تبلغ نصاب الإخراج ، ولكن الباعث على إخراجها أن تكون في متناول طلاب العلم ممن كان معنا في الدرس ليسهل عليهم مراجعة العلم ، والاختبار فيه ، وينبهوني على ما فيها من أخطاء .

باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام وفي قوله حجابهُ النور لو كشفهُ لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه

١٣٦- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ. يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ. يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ. وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ. حِجَابُهُ النُّورُ (وَفِي رِوَايَةٍ : النَّارُ) لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». رواه مسلم .

ترجمة راوي الحديث:

أبو موسى الأشعري رضي الله عنه تقدمت ترجمته في الحديث الثاني والسبعين من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث (١٧٩)، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، " باب فيما أنكرت الجهمية " حديث (١٩٥).

شرح ألفاظ الحديث:

- " قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ " : أي قام متكلماً بخمس جمل مترابطة المعنى.
 - " لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ " : معناه أنه سبحانه وتعالى لا ينام وأنه يستحيل في حقه النوم، فإن النوم انغمار وغلبة على العقل، يسقط به الإحساس، والله تعالى منزه عن ذلك، وهو مستحيل في حقه وَجَلَّ جَلَلُهُ، قاله النووي رحمه الله [شرح مسلم ١٦/٣] .
 - " يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ " : القسط هو العدل، والذي ينخفض ويرتفع هو الموزون، وسمي الميزان قسطاً لأنه بالميزان يقع العدل، فمن عمل ما يستحق الرفع رفعه، ومن عمل ما يستحق الحفض خفضه.
 وقيل المراد بالقسط الرزق ، فالله تعالى يخفض رزق كل مخلوق فيقتره أو يرفعه فيوسعه.
 - " حِجَابُهُ النُّورُ " : أي أنه جل وعلا محتجب عن خلقه بالنور.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: "وهي حجب عظيمة من النور، لا يعلم قدرها إلا الله، وفي رواية "حِجَابُهُ النَّارُ" كأن الراوي فهم من قوله ﷺ "لَأَحْرَقَتْ" أنها نار، والصواب "حِجَابُهُ النَّورُ" والشك في قوله "أو النَّارُ" لعله تطرق إلى الراوي، وهم من قوله ﷺ "لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ" وصوابه الرواية: "حِجَابُهُ النَّورُ" [التعليق على صحيح مسلم (٦٠٣/١)]

- "سُبْحَاتُ وَجْهِهِ": أي بهائه وعظمته ونوره.

- "مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ": أي جميع خلقه؛ لأن بصره جل وعلا محيط بجميع الكائنات ولفظ "من" في قوله "مِنْ خَلْقِهِ" لبيان الجنس لا للتبويض، والمعنى لو زال هذا الحجاب لأحرقت سبحات وجهه جميع مخلوقاته.

من فوائد الحديث:

- **الفائدة الأولى:** الحديث دليل على نفي صفة النوم عن الله تعالى، فالله تعالى لا ينام ومستحيل أن ينام لكمال قيوميته وحياته، ومعلوم أن صفات الله تعالى على قسمين: ثبوتية وهي ما أثبتها الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ كالعلو والوجه في حديث الباب وكالعلم والقدرة والرحمة وغيرها، فيجب إثباتها على الوجه اللائق به سبحانه، وسلبية: وهي ما نفاها عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ كالنوم في حديث الباب وكالظلم والموت، وغيرها، فيجب نفيها عن الله تعالى مع وجوب إثبات ضدها على الوجه الأكمل، فمثلاً في قوله تعالى: {وَلَا يَظْلِمُ رُبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩] يجب نفي الظلم عن الله تعالى مع وجوب إثبات العدل لله تعالى على الوجه الأكمل، وفي حديث الباب قول النبي ﷺ "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ" نفي صفة النوم يستلزم إثبات ضدها وهو كمال حياته وقيوميته ولذا قال تعالى عن نفسه: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥].

- **الفائدة الثانية:** الحديث دليل على أن الله تعالى يعز من يشاء ويذل من يشاء يحكم بالعدل يخفض ويرفع، من عمل عملاً يستحق الرفع رفعه، ومن عمل عملاً يستحق الخفض خفضه، فهو سبحانه كل وقت هو في شأن يرفع أقواماً ويضع آخرين.

- **الفائدة الثالثة:** الحديث دليل على ارتفاع الأعمال إليه في اليوم مرتين ليلاً ونهاراً، لا ينتهي الليل إلا وقد رفع إليه عمل الليل، ولا ينتهي النهار إلا وقد رفع إليه عمل النهار، لا يتأخر من ذلك شيء لكمال سلطانه، ولو تأمل العبد رفع الأعمال في كل ليل ونهار لحرص ألا يرتفع من أعماله إلا ما كان طيباً، والله المستعان.

-الفائدة الرابعة: الحديث دليل على إثبات صفة العلو لله تعالى، لقول النبي ﷺ "يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ. وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ" والكلام على صفة العلو من عدة وجوه :

*المبحث الأول : معتقد أهل السنة والجماعة في صفة العلو

أهل السنة والجماعة يثبتون صفة العلو لله تعالى كما يليق به سبحانه من غير تحريف ولا تكييف ومن غير تمثيل ولا تعطيل، وهي من الصفات الذاتية .

وعلو الله تعالى على ثلاثة أقسام :

الأول : علو شأن (أي علو شرف وقدر وعظمة).

الثاني : علو قهر.

وهذان القسمان لم يخالف فيهما أحد ممن ينتسب للإسلام سواء كان من أهل السنة أو أهل البدعة.

الثالث : علو الذات.

وهذا هو الذي جرى فيه الخلاف بين أهل السنة فأثبتوه وبين أهل البدعة فأنكروه وهو المقصود في المباحث القادمة يقول الحافظ حكيمي :

جلَّ عن الأضداد والأعوان

علو قهر وعلو شأن

على عباده بلا كيفية

كذا له العلو والفوقية

*المبحث الثاني : صفة العلو دلَّ عليها الكتاب والسنة والإجماع

- فمن الكتاب: قوله تعالى: {ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} [الملك: ١٦] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " قد وصف الله تعالى نفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله " بالعلو والاستواء على العرش والفوقية " وفي كتابه في آيات كثيرة ، حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعي : في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله تعالى عالٍ على الخلق ، وأنه فوق عباده . وقال غيره : فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك " [انظر مجموع الفتاوى ٥ / ١٢١] .

- ومن السنة : أيضاً أدلة كثيرة منها حديث الباب، وحديث معاوية بن الحكم السلمي وفيه قصة الجارية وقول النبي ﷺ لها : " أين الله ؟ " قالت : في السماء ، قال : " أعتقها فإنها مؤمنة " رواه مالك ومسلم وغيرهما من الأئمة.

- وأجمع السلف على إثبات علو الله تعالى بذاته فهو فوق جميع خلقه بائن عنهم ، ونقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم، بل نقل عن بعض السلف أنه يُكْفَّرُ من ينكر أن الله في السماء، ففي شرح كتاب التوحيد للغنيمان: " قال شيخ الإسلام : وفي الفقه الأكبر المروي عن الإمام أبي حنيفة -رحمه الله - قال : " من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ؟ فقد كفر ، لأن الله تعالى يقول: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥٠] ، وعرشه فوق سبع سماواته . قلت : فإن قال : إنه على العرش استوى ، ولكنه يقول : لا أدري ، العرش في السماء أم في الأرض ؟ قال : هو كافر ، لأنه أنكر أن يكون في السماء لأنه تعالى في أعلى عليين ... - قال الشيخ الغنيمان - وهذا تصريح من أبي حنيفة - رحمه الله - بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء " [انظر شرح العلامة عبدالله الغنيمان لكتاب التوحيد من صحيح البخاري (١ / ٢٧٢ - ٢٧٣)] .

- يتلخص مما سبق أن علو الله تعالى ثابت بالكتاب والسنة والإجماع وأيضاً دَلٌّ على ذلك :

* **العقل** : لأن نفي علو ذات الله تعالى نفي لصفة كمال ، وكونه سبحانه في السفلى صفة نقص تجعل بعض المخلوقات فوقه.

* **ودل على ذلك الفطرة** : لأن الخلق مفلطرون على أن الله تعالى في السماء، فالإنسان إذا أراد أن يدعو الله تعالى ينصرف قلبه إلى السماء ، ويذكر أن أحد أئمة السلف وهو أبو العلاء الهمداني دخل على الإمام الجويني (أحد الأشاعرة) وهو يلقي درساً على المنبر يقرر فيه عقيدة الأشاعرة وكان مما قرر إنكار أن الله في العلو وقال : إن لله كان ولا مكان ، وهو الآن على ما كان عليه ويقرر نفي العلو عن الله تعالى فقال له أبو العلاء الهمداني أمام الناس يا إمام دعنا من أقوالك وحججك ، ما هذه الحاجة التي يجدها كل واحد منا ، ما أراد أحد ربه قط إلا رفع بصره إلى السماء فنزل الإمام الجويني من منبره يقول : حيرني الهمداني حيرني الهمداني وجلس بين أصحابه يبكي ، وتاب في آخر أمره عن هذا التأويل.

فائدة : تقدم أن الأدلة في إثبات علو الله تعالى كثيرة مستفيضة وتقدم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وأيضاً ورد عن غيره من السلف ، وهذه الأدلة تنوعت في دلالتها على علو الله تعالى :

- فتارة تأتي بالتصريح بالفوقية ، كقوله تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ}

- وتارة بالتصريح بالصعود إليه ، كقوله تعالى : {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}

- وتارة بالعروج إليه ، كقوله تعالى : {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ}

- وتارة برفع بعض المخلوقات إليه ، كقوله تعالى : {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ}

- وتارة بأنه سبحانه في السماء ، كقوله تعالى: {ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ}
- وتارة بالعلو المطلق ، كقوله تعالى: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} وقوله: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}
- وتارة بالتصريح باستوائه على العرش كقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}
- وتارة برفع الأيدي إليه سبحانه ، كقول النبي ﷺ: " إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا " رواه أبو داود والترمذي من حديث سلمان الفارسي .
- وتارة بالتصريح بنزوله جل وعلا ، والنزول لا يكون إلا من علو ، كقوله النبي ﷺ: " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر " والحديث متفق عليه عن أبي هريرة ؓ.
- وكل الأدلة السابقة فيها دلالة على علو الله تعالى ولو تنوعت الطرق وهناك أنواع أخرى غير ما تقدم تزيد مجموعها على العشرين نوعاً.

*المبحث الثالث : المخالفون لأهل السنة

- المخالفون لأهل السنة من المبتدعة كالجهمية والمعتزلة ومتأخري الأشاعرة ، ينكرون علو الذات ويفسرون نصوص العلو بعلو الشأن وعلو القهر والملك ، وانقسموا في صفة علو الذات بعد إنكارها إلى قسمين:
- ١- فالجهمية والمعتزلة يقولون : إن الله ﷻ في كل مكان - والعياذ بالله - وهذا معناه أن الله يحلُّ في كل شيء وهذا مذهب الحلولية الذي أصله من الجوس والبوذيين في الهند .
 - ٢-وأما الأشاعرة فينفون عن الله جميع الجهات ، ويقولون : لا نقول إن الله داخل العالم ولا خارجه ، يريدون بذلك نفي جميع الجهات فيقولون : إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا تحته ولا أمامه ولا ورائه ولا عن يمينه ولا عن شماله ، وهذا مذهب الفلاسفة .

والرد عليهم :

- ١- أن هذا مخالف لطريقة السلف رحمهم الله .
- ٢-أنه مخالف لظاهر النصوص التي فيها إثبات علو الله تعالى .
- ٣-أن الله تعالى أثبت لنفسه العلو المطلق وهذا يشمل علو الذات والقهر والشأن، فمن أثبت البعض ونفى البعض فقد جحد بعض ما أثبتته الله لنفسه .
- ٤-أن تأويلكم للنصوص الدالة على علو ذات الله تعالى بعلو القهر والملك كما في قوله: {ءَأْمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} يرده أن ملك الله وسلطانه ليس في السماء فقط بل في الأرض وعلى كل شيء هو قادر سبحانه .

٥- أن تأويلكم هذا يرده العقل لأن نفي علو الذات نفي لصفة كمال.

٦- أن تأويلكم هذا ترده الفطرة لأن الخلق مفلطرون على أن الله في السماء بل حتى البهائم فطرت على ذلك ، فقد جاء في مسند الإمام أحمد وصححه الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " خرج سليمان عليه السلام يستسقي، فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن سقيك ، فقال لهم سليمان : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم " .

٧- أن قول الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم بأن الله في كل مكان ، مع إثباتهم أن الله تعالى ذاتاً وافقوا بذلك قول الحلولية الذين يقولون بأن الله حالٌّ في كل مكان وهم بهذا أشنع من النصارى الذين قالوا بالحللول في المسيح فقط ، وأشنع من بعض الصوفية الذين قالوا بالحللول في بعض الأشخاص ، ويلزم من قولهم هذا أن الله حالٌّ في كل مكان في السماء والأرض والجبال والبحار بل وفي ما ينزه الله عنه من أماكن الأقدار والأنجاس ونحو ذلك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وجلَّ الله عن هذا اللزوم ولكنه قيل لإزهاق الباطل فهذا لا يقوله عاقل.

٨- أن قول الأشاعرة بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه قول متناقض فلا يتصور أبداً أن يكون الله لا داخل العالم ولا خارجه فهذا الوصف ينطبق على من ليس موجوداً ، فالذي ليس خارج العالم ولا داخله معدوم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فالجهمية وأشباههم لا يصفونه سبحانه بالعلو بل إما أن يصفونه بالعلو والسفول وإما أن ينفوا عنه العلو والسفول ، فهم نوعان : قسم يقولون : إنه في كل مكان بذاته ، والقسم الآخر يقولون : إنه لا داخل العالم ولا خارجه ، فالقسم الأول وصفوه بالحللول في الأمكنة ولم ينزهوه عن المحال المستقدرة ، والقسم الثاني وصفوه بالعدم " [انظر التنبيهات السننية للشيخ عبدالعزيز الرشيد ص (٢٠٢)]

*المبحث الرابع: سبب نفي المبتدعة علو ذات الله تعالى

المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن شابههم نفوا علو ذات الله تعالى ، ونفوا استوائه على عرشه ، حجتهم في ذلك أن إثبات ذلك يستلزم التحسيس والتحديد بأن يكون الله تعالى جسماً محدوداً يحمل العرش ويحتويه ، ويستلزم أن يكون الله محصوراً في جهة السماء وأن الجهة تحويه إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة. والرد عليهم:

١- أنه لا يجوز ردُّ الأدلة المثبتة لصفات الله تعالى كعلو ذاته واستوائه على عرشه من أجل تعليقات لا دليل عليها .

٢- أنه لو كانت نصوص إثبات علو ذات الله تعالى واستوائه على عرشه تستلزم معنى فاسداً كما تزعمون لبيَّنه الله جل وعلا ، لأنه سبحانه هو الذي بيَّن صفاته في كتابه ، فدل هذا على أن إثباتها لا يستلزم المعنى الفاسد الذي ذكرتموه ، فالله جل وعلا فوق عباده كلهم ولا تحويه الجهة التي يشار إليها متصفٌ بما وصف به نفسه ومن ذلك علوه جل وعلا واستوائه على عرشه .

*المبحث الخامس : الفرق بين العلو والاستواء على العرش

الفرق بين العلو والاستواء على العرش يتلخص فيما يلي :

أولاً : أن صفة الاستواء على العرش وصفة العلو كلاهما تدلان على إثبات العلو لله تعالى ، لكن صفة الاستواء تدل على علو خاص وهو العلو على العرش .

ثانياً : الاستواء على العرش من الصفات التي دلَّ عليها النقل فقط (أي النص) فلو لم يأت دليل يدل على هذه الصفة لم نعلم بما فلما جاء نص أثبتناها ، وأما صفة العلو فقد دلَّ عليها النقل والعقل والفتوة ، حتى البهائم مفطورة على معرفة هذه الصفة .

ثالثاً : أن صفة العلو ذاتية فهي ملازمة لله جل وعلا لا تنفك عنه بحال من الأحوال ، بخلاف صفة الاستواء فهي صفة فعلية لأنها تتعلق بمشيئته سبحانه وكانت بعد خلق السموات والأرض لقوله تعالى : { إِنَّ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } [الأعراف: ٥٤] ، ومن أهل العلم من قال أن الاستواء على العرش صفة فعلية من جهة و ذاتية من جهة أخرى فهي فعلية باعتبار أنه جل وعلا لم يزل مستوياً على عرشه منذ استوى عليه بمعنى أن وصف الاستواء على العرش لم ينفك عنه منذ أن استوى عليه جل وعلا .

-الفائدة الخامسة: الحديث دليل على أنه سبحانه محتجب عن خلقه بالنور فلا يرويه في الدنيا.

-الفائدة السادسة: الحديث دليل على إثبات صفة الوجه لله تعالى، والكلام على صفة الوجه من عدة وجوه:

*المبحث الأول : معتقد أهل السنة والجماعة في هذه الصفة .

أهل السنة والجماعة يثبتون صفة الوجه لله تعالى ، من غير تكيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وهي من الصفات الذاتية الخيرية .

*المبحث الثاني : صفة الوجه ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع .

- فمن الكتاب قوله تعالى: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٧]

- ومن السنة : حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال له : " إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها " متفق عليه، وأيضاً حديث الباب .

- ومن الإجماع ، قال الإمام ابن خزيمة (في كتاب التوحيد ١ / ٢٥) : " فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتمامة واليمن والعراق والشام ومصر ؛ مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبتته لنفسه ، نقر بذلك بألسنتنا ، ونصدق ذلك بقلوبنا ، من غير أن نشبه وجهه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، عز ربنا أن يشبه المخلوقين ، وجل ربنا عن مقالة المعطلين "

*المبحث الثالث : المخالفون لأهل السنة .

المخالفون لأهل السنة والجماعة من المبتدعة أولوا صفة الوجه بعدة تأويلات :-

١- فقالوا المراد بها (الثواب) ، {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} أي ويبقى ثواب ربك ، {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} أي إلا ثوابه ، وهذا قول الجهمية .

والرد عليهم من وجوه :

أولاً : أن في هذا مخالفة لظاهر لفظ الآية، فالآية ظاهرها بلفظ الوجه لا الثواب .

ثانياً : أن فيه مخالفة لإجماع السلف، فلا يعرف أحد منهم قال إن المراد بالوجه الثواب .

ثالثاً : أنه جاء في الآية بيان صفات عظيمة لهذا الوجه فقال تعالى : {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وَالْإِكْرَامِ} فهل يمكن أن نقول عن الثواب ذو الجلال والإكرام ؟

رابعاً : جاء في حديث أبي موسى ﷺ في الباب أن النبي ﷺ قال : " حجابہ النور ، لو كشفه لأحرقت

سُبْحَاتُ وَجْهه ما انتهى إليه بصره من خلقه " رواه مسلم ، فهل يمكن أن يقال أن الثواب له النور الذي

يجرق ما انتهى إليه بصر الله من الخلق؟

خامساً : جاء في صحيح البخاري من حديث جابر ﷺ أن رسول الله لما نزلت عليه قول الله تعالى : {قُلْ

هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ} [الأنعام: ٦٥] فقال النبي ﷺ : " أعوذ بوجهك " ولو كان

الثواب هو المقصود فهل يصح أن يستعاذ به ؟ وهل يستعاذ بمخلوق ؟

٢- ومنهم من قال بأن المراد بها (الذات) وهو قول الجهمية أيضاً والمعتزلة ومن وافقهم من الرافضة وهو قول الأشاعرة .

والرد عليهم من وجوه :

أولاً : أن هذا مخالف لظاهر الآية .

ثانياً : أنه مخالف لإجماع السلف ، فلا يعرف أحد منهم أولها بالذات .

ثالثاً : أن الله ﷻ وصف وجهه بقوله " ذو الجلال والإكرام " ولو كان ذلك وصفاً للذات لقال (ذي)

(الجلال والإكرام) لأن لفظ (ربك) مجرورة بالإضافة .

رابعاً : أن من المعلوم أن العطف يقتضي المغايرة والاختلاف ، ففي حديث ابن عمرو أن النبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قال : " أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم من الشيطان الرجيم " رواه أبو داود ، وهنا عطف الوجه على الله جل وعلا .

تنبيه وبيان : إطلاق الجزء ويراد به الكل أسلوب صحيح معروف في اللغة العربية ، ولذا تمسك به بعض المؤولة لصفة الوجه، فقالوا: إن المراد بها ذات الله جلّ وعلا فأطلق الجزء وهو الوجه والمراد به الكل وهو الذات ، فقالوا (ويبقى وجهه ربك) أي ذاته سبحانه ، وقالوا (كل شيء هالك إلا وجهه) أي كل شيء هالك إلا ذاته سبحانه والمعنى الذي قالوه صحيح لو أنهم أثبتوا صفة الوجه لله تعالى في الآيات السابقة ، لأن النص ورد في صفة الوجه وهي جزء من الذات ، والنص على الوجه يدل على ثبوت الذات ، لكن الخطأ الذي وقعوا فيه أنهم جعلوا المراد بالوجه هو الذات وهذا تأويل باطل ، ولو قال قائل لماذا نذكر الذات مع إثبات صفة الوجه ؟

فالجواب: حتى لا نقع فيما ذهب إليه من لا يقدر الله حق قدره حيث قالوا في قوله تعالى: { وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } وقوله { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ } وقالوا : إن الله يفنى إلا وجهه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . [انظر شرح الواسطية لشيخنا ابن عثيمين ص (٢٤٣)]

باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى

١٣٧- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فَضَّةٍ آبَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا. وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آبَيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا. وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ. فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»

١٣٨- وَعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ. فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ». وفي رواية: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} رواه مسلم .

ترجمة راويي الحديثين:

أبو موسى الأشعري رضي الله عنه تقدمت ترجمته في الحديث الثاني والسبعين من كتاب الإيمان. وأما صهيب رضي الله عنه فهو: صهيب بن سنان بن مالك الرعي النمرى، كنيته أبو يحيى كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس برومي الأصل، وإنما قيل له رومي؛ لأن الروم سبوه صغيراً، فنشأ بالروم، فصار ألكن، فاشترته كلب من الروم، ثم قدموا به إلى مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي منهم فأعتقه، فأقام معه حتى مات ابن جدعان، ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسلم وكان من السابقين للإسلام؛ قال الواقدي رحمه الله: "أسلم صهيب وعمار رضي الله عنهما وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلاً، وكان من المستضعفين بمكة الذين عذبوا، ولما هاجر صهيب رضي الله عنه إلى المدينة تبعه نفر من المشركين فأخرج كنانته وقال صلى الله عليه وسلم: "تعلمون أي من أركامكم، ووالله لا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن كنتم تريدون مالي دليكم عليه، قالوا: دلنا على مالك ونخلي عنك وتعاهدوا على ذلك فدلهم عليه، ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ريح البيع أبا يحيى" وكان صهيب رضي الله عنه شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير كثير شعر الرأس شهد بداراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه محباً لصهيب رضي الله عنه حتى إنه لما طعن أوصى أن يصلي عليه صهيب، وتوفي صهيب رضي الله عنه بالمدينة سنة ٣٨هـ وقيل سنة ٣٩هـ في شوال ودفن بالمدينة، رضي الله عنه وأرضاه. [انظر أسد الغابة (٣/٣٦)].

تخريج الحديثين:

حديث أبي موسى رضي الله عنه أخرجه مسلم حديث (١٨٠)، وأخرجه البخاري في " كتاب التفسير " باب (ومن دونهما جنتان) " حديث (٤٨٧٨)، وأخرجه الترمذي في " كتاب صفة الجنة " " باب ما جاء في صفة غرف الجنة " حديث (٢٥٢٨)، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة " باب ما أنكرت الجهمية " حديث (١٨٦).

شرح ألفاظ الحديثين:

- " جَنَّاتٍ مِنْ فَضَّةٍ آيْتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ": " جَنَّاتٍ " خبر لمبتدأ محذوف، أي هما جنتان، " آيْتُهُمَا " مبتدأ، " مِنْ فَضَّةٍ " خبره مقدم، والجملة في جواب للسائلين عن حقيقة الجنتين في قوله تعالى {وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ} [الرحمن:٤٦] .

- " وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ": أي ما بين أهل الجنة ورؤية الله تعالى.

- " تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ ": أي من أنواع النعيم.

- " فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ ": أي يزيله.

من فوائد الحديثين:

-الفائدة الأولى: الحديثان دليلان على الإيمان بالجنة وأنها دار النعيم للمؤمنين، وأنهما جنتان من فضة

وجنتان من ذهب، وفي حديث صهيب رضي الله عنه بيان اسم من أسماء الجنة وهو جنة عدن وكما قال تعالى:

{جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ} [مريم:٦١]، {وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ} [الصف:١٢]

-الفائدة الثانية: الحديثان دليلان على إثبات صفة الوجه لله تعالى، وتقدم الكلام على صفة الوجه في الحديث السابق.

-الفائدة الثالثة: في الحديثين دليل على إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، والكلام على رؤية الله تعالى

ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : رؤية الله تعالى في الدنيا

رؤية الله تعالى في الدنيا مستحيلة، دلَّ على ذلك الكتاب والسنة والإجماع :-

فمن الكتاب : قول الله تعالى لموسى : {لَنْ تَرَانِي} [الاعراف:١٤٣] وكان قد طلب رؤية الله تعالى .

ومن السنة : حديث النواس بن سمعان في ذكر الدجال وفيه قال النبي ﷺ : " اعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت " رواه مسلم .

وأجمع العلماء على أن الله ﷻ لا يراه أحد في الدنيا بعينه ، ونقل الإجماع غير واحد من أهل العلم ، ولو كان الله جل وعلا يُرى في الدنيا أي لو كان ذلك حاصلاً لأحد من العباد لحصل لكليم الله تعالى موسى ﷺ حين سأل ربه ذلك ، وإن تعجب فعجب من أولئك السفهاء من المبتدعة الذين يعتقدون أنها قد تحصل رؤية الله تعالى في الدنيا لبعض أوليائهم كما هو موجود في كتب الزنادقة والصوفية ، وأفتى بعض علماء الإسلام ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية أن من قال أن أحداً من الأولياء يرى الله سبحانه وتعالى بعينه في الدنيا فإنه يبيّن له الدليل فإن تاب وإلا قُتِل ، وإن اعتقد بهذا الاعتقاد مع اعتقاده التفضيل أي يعتقد بأن أوليائه الذين يزعم أنهم يرون الله في الدنيا أفضل من الأنبياء الذين لم تحصل لهم الرؤيا في الدنيا كموسى ﷺ وغيره من الأنبياء فإنه يكفر بهذا الاعتقاد ويقتل مرتداً إن كان مصرّاً على هذا القول .

فالحاصل أن رؤية الله في الدنيا ممتنعة بإجماع العلماء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (في مجموع الفتاوى ٣ / ٣٨٩) : " وكذلك كل من ادعى أنه رأى ربه بعينه قبل الموت فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة ، لأنهم اتفقوا جميعهم على أن أحداً من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت ، وثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ أنه لما ذكر الدجال قال : " واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت " .

ثانياً : رؤية الله في الآخرة قبل دخول الجنة

اختلف أهل العلم في رؤية الله تعالى في المحشر وقبل الحساب هل هي خاصة للمؤمنين ، أو أنها عامة لأهل المحشر كلهم مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم ، وقبل ذكر الخلاف لا بد من معرفة عدة أمور :

الأول : أهل السنة والجماعة متفقون على أن المؤمنين يرون ربهم في المحشر فلم يخالف في ذلك أحد .

الثاني : أهل السنة والجماعة متفقون على أن رؤية الله في عرصات يوم القيامة لا تكون رؤية نعيم وتكريم وتلذذ إلا للمؤمنين ، بخلاف غيرهم من الكفار والمنافقين فعلى قول من يقول أنهم يرونه فإنها ليست رؤية نعيم وتكريم .

الثالث : أن الخلاف في هذه المسألة نشأ بعد المائة الثالثة أي في بداية القرن الرابع ، وأما قبل ذلك فلم يكن الخلاف موجوداً عند السلف رحمهم الله ، وإنما كانت المسألة السائغة عندهم هل يرى الله جل وعلا أو لا يرى ؟

الرابع : أن الخلاف في هذه المسألة ليس من الخلاف الذي يؤثر في الاعتقاد فسواء قيل بأن الكفار والمنافقين يرونه أو لا يرونه فالقضية قضية نظر واجتهاد ولا تؤثر في الاعتقاد ، ولشيخ الإسلام ابن تيمية قصة في هذه المسألة حينما حصل النزاع والفرقة والعداوة بين أهل البحرين بسبب هذه المسألة فكتبوا لشيخ الإسلام يسألونه ويبيِّن لهم أن هذه المسألة من المسائل التي لا يحصل بها هجران وتبديع وافتراق فليست من مسائل الأصول التي يكون فيها موالاتة أو معاداة ، وإنما هي من المسائل الاجتهادية .

وخلاف أهل العلم في هذه المسألة على أقوال ثلاثة :

القول الأول : أن رؤية الله في المحشر تكون لأهل الموقف جميعاً للمؤمنين والكافرين ومنهم المنافقين .

وقالوا بأن الكفار يرونه ابتداءً ثم يحجبون عن رؤيته لقوله تعالى : { **كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ** } ولكنهم قالوا إن رؤية الكفار لله تعالى رؤية عذاب ، واستدلوا بالأحاديث التي فيها تكليم الله تعالى لأهل المحشر وقت الحساب كحديث أبي سعيد وحديث أبي هريرة رضي الله عنه وكلاهما في الصحيحين وسيأتيان قريباً ، وفيه أن الله تعالى يقول لأهل المحشر: " من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيذهب الذين يعبدون الطواغيت ، ويأتي اليهود والنصارى فيمثل لهم شيطان عزيز وشيطان المسيح... " والحديث فيه دلالة على تكليم الله لهم حيث قال : " من كان يعبد شيئاً فليتبعه " فقالوا ما دام أنه يكلمهم فهم يرونه ، فجعلوا من التكليم دليلاً على الرؤية ، والصواب أنه لا يلزم من التكليم الرؤية فهذا قول مرجوح والله أعلم.

والقول الثاني : أنه يراه المؤمنون والمنافقون دون الكافرين الأصليين ، واختار هذا القول ابن خزيمة في التوحيد .

واستدلوا : بحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين بعد ما ذكر ذهاب كل طائفة من الكفار مع معبودهم فيلقون في النار - كما تقدم - قال النبي صلى الله عليه وسلم : "... وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى ، في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورته التي يعرفون ، فيقول أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه ... " الحديث

القول الثالث : أن الرؤية في المحشر خاصة بالمؤمنين فقط ، واختار هذا القول النووي وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله [انظر شرح مسلم للنووي (٣٥/١) وانظر مجموع الفتاوى (٦ / ٤٦٥)]

واستدلوا : بحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين الذي تقدم ففي أوله : " أن ناساً قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول

الله . قال : " هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحب ؟ قالوا : لا ، قال : " فإنكم ترونه كذلك " وأما غير المؤمنين فلا يرون ربهم لقوله تعالى : { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ } .

ورد أصحاب هذا القول على أصحاب القول الثاني بأن استدلالهم ليس فيه دلالة على أن المنافقين يرون ربهم .

قال النووي : " ثم اعلم أن هذا الحديث قد يتوهم منه أن المنافقين يرون الله تعالى مع المؤمنين ، وقد ذهب إلى ذلك طائفة حكاه ابن فورك لقول النبي ﷺ : " وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى " وهذا الذي قاله باطل بل لا يراه المنافقون بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين وليس في هذا الحديث تصريح برؤيتهم الله تعالى ، وإنما فيه أن الجمع الذي فيه المؤمنون والمنافقون يرون الصورة ثم بعد ذلك يرون الله تعالى وهذا لا يقتضي أن يراه جميعهم وقد قامت دلائل الكتاب والسنة على أن المنافق لا يراه سبحانه وتعالى والله أعلم "

ثالثاً: رؤية الله تعالى في الجنة

باتفاق أهل السنة والجماعة أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة، والجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة ورؤية الله في الجنة أعظم نعيم .

ورؤية المؤمنين لربهم في الجنة دلل عليها الكتاب والسنة والإجماع :-

فمن الكتاب :

١- قوله تعالى : { وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } (ناصرة) : أي حسنة من النظارة ، و(ناظرة) من النظر .

قال الإمام البيهقي في كتابه (الرؤية) : هذا تفسير قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين ، ومثله لا يقال إلا بتوقيف ، وفسروا قوله تعالى : { وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } قال ابن عباس : ناضرة حسنة إلى ربها ناظرة ، ناظرة إلى الخالق ، وقال عكرمة : ناضرة من النعيم ، إلى ربها ناظرة تنظر إلى الله نظراً "

٢- وقوله تعالى : { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ } فالحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله الكريم ، كما سيأتي .

من السنة : فالأحاديث متواترة عن الصحابة في إثبات هذا المعتقد ومن ذلك :-

- ١- حديث صهيب في الباب حيث فسر رسول الله ﷺ الزيادة في قوله: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ}** بأنها رؤية الله تعالى في الجنة، وهكذا فسرها الصحابة رضوان الله عليهم كأبي بكر الصديق، وحذيفة، وأبي موسى، وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.
- ٢- حديث أبي موسى ﷺ في الباب.
- ٣- حديث جرير بن عبدالله قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: "إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا" يعني بذلك صلاة الفجر والعصر، والحديث متفق عليه.
- وأجمع المسلمون على إثبات رؤية الله تعالى في الجنة ولم يخالف ذلك إلا مبتدع.
- قال الإمام أحمد: "ومن لم يقل بالرؤية فهو جهمي، وقال مرة: هو زنديق، وقال أيضاً: وقد بلغه عن رجل قال: إن الله لا يُرى في الآخرة؟ فغضب غضباً شديداً وقال: من قال إن الله لا يُرى في الآخرة فهو كافر، أو فقد كفر عليه لعنة الله وغضبه كائناً من كان من الناس، أليس يقول الله عز وجل: **{وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ} إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ**، وقال: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ}** وقال أيضاً: يستتاب فإن تاب وإلا قُتِلَ"

المبحث الثاني: المخالفون لأهل السنة

المخالفون لأهل السنة في مسألة الرؤية على قسمين:

- ١- قسم أنكروا الرؤية صراحة وهم: الجهمية والمعتزلة والرافضة والأباضية وهي إحدى طوائف الخوارج وغيرهم فهؤلاء ينكرون الرؤية ويؤولون الأدلة المثبتة للرؤية فيقولون في قوله تعالى: **{إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ}**: أي إلى ثواب ربها ناظرة.

والرد عليهم:

- ١- أن هذا مخالف لطريقة السلف وإجماعهم على إثبات الرؤية كما تقدم بيانه.
- ٢- أن هذا مخالف لظاهر النص، فظاهر النصوص دالة على إثبات الرؤية.
- ٣- أن تأويلكم ضعيف جداً، ومخالف لقواعد اللغة، ووجه ذلك: أن لفظ (نظر) إذا عُدي بحرف الجر (إلى) كما في قوله تعالى **{إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ}** لا يمكن أن يكون المقصود منه إلا النظر البصري معانية، بخلاف ما لو عُدي بحرف الجر (في) فإنه يكون بمعنى التفكير كقوله تعالى: **{قُلْ إِنظُرُوا مَاذَا فِي**

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} وقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} وأما إذا عُذِّي بنفسه فإنه يكون بمعنى التوقف والانتظار كقوله تعالى: {أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ} والمهم أنه إذا عُذِّي بنفسه أو بـ (إلى) فإنه يكون بمعنى النظر بالعين كقوله تعالى: {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} وقوله تعالى: {أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} وقوله: {أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ}.

٢- والقسم الثاني أنكروا الرؤية ليس صراحة وإنما في مفهوم معتقدتهم وهم :

الأشاعرة و الماتريدية فهؤلاء باعتمادهم أنهم يشبتون الرؤية ويقولون : نشبت رؤية المؤمنين لربهم ، ولكن حينما ننظر كيف يشبتون الرؤية ؟ فإننا نجدهم كمن ينكرها ، ووجه ذلك أنهم يقولون : إن الله ﷻ يُرى يوم القيامة ، ولكنه لا يُرى عن مواجهة ومعاناة بأن ينظروا إليه بأبصارهم ، وإنما الرؤية عندهم رؤية علمية بمعنى العلم واليقين والكشف ، وهذا نفي للرؤية في حقيقة معناه لأنهم يقولون نحن نشبت الرؤية وأن المؤمنين يرون ربهم لكنهم يرونه بقلوبهم لا بأبصارهم ، وهم اعتقدوا الرؤية بهذا المفهوم لأنهم كما سبق ينكرون العلو الذاتي لله تعالى فوقهم في تناقض لأنهم إذا أثبتوا الرؤية البصرية لا بد أن يشبتوا العلو الذاتي لله تعالى فوقهم في هذا الحرج ، وهم عند أنفسهم أنهم يشبتون رؤية الله بل إن هؤلاء الأشاعرة ألفوا المؤلفات في إثبات الرؤية وردوا على المعتزلة ، والمعتزلة ردوا عليهم بأن اعتقادكم متناقض لأن من أثبت الرؤية لا بد أن يشبت العلو ، هذا هو ملخص اعتقاد الأشاعرة ومن تبعهم .

والرد عليهم كما سبق :

- ١- أن هذا مخالف لطريقة السلف وإجماعهم .
- ٢- أن هذا مخالف لظاهر النصوص الدالة على إثبات حقيقة الرؤية فالآيات تدل على النظر بالبصر لا بغيره من تأويلاتكم الباطلة .
- ٣- أن مفهومكم في إثباتكم للرؤية مفهوم خاطئ فهو في حقيقته إنكار للرؤية ، مع ما فيه من التناقض والفساد .

٤- أن مما يدل على أن الرؤية تكون بالبصر قوله تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ*إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}

ووجه الدلالة : أن الله عز وجل جعل الوجوه هي الناظرة لربها ، والوجوه عُبر بها لأنها محلُّ للأبصار .

المبحث الثالث : من أسباب رؤية الله تعالى

- ١- أن يسأل العبدُ ربَّه النظرَ إلى وجهه الكريم .

لحديث عمار بن ياسر وفيه دعاء النبي ﷺ ومنه: " وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة " الحديث رواه أحمد والنسائي والحاكم .

٢- المحافظة على صلاة الفجر والعصر

لحديث جرير بن عبدالله الذي تقدم قال : كنا جلوساً مع النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال : " إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا " متفق عليه ، والمقصود بهما صلاة الفجر والعصر .

-الفائدة الرابعة: حديث صهيب ؓ دليل على أن أعظم نعيم يناله المؤمن في الجنة هو رؤية الله تعالى، ولذا كان زيادة على الإحسان وهو أعلى مراتب الإحسان لأهل الجنة - نسأل الله من فضله - لما فيه من اللذة والامتنان العظيم ولذا كان من دعاء النبي ﷺ: " وأسألك لذة النظر إلى وجهك " أخرجه النسائي في سننه حديث (١٣٠٥)، وعبد الرزاق في مصنفه حديث (١٩٦٤٧) .

باب معرفة طريق الرؤية

١٣٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ. يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ. وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ. وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيَتِ الطَّوَاغِيَتِ. وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا. فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْكَ. هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا. فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ. وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ. فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ. وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ. وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ! سَلِّمْ، سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ. هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟» قَالُوا: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ. غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ. تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ. فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ يَقِي بِعَمَلِهِ. وَمِنْهُمْ الْمُجَازِي حَتَّى يُنَجِّي. حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ،

وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ. يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ. تَأْكُلُ النَّارُ مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ. حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ. فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدْ اِمْتَحَشُوا. فَيَصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ. فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ. ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ. وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ. وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ اصْرَفَ وَجْهِي عَنِ النَّارِ. فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِبْحَهَا وَأَحْرَقَنِي ذِكَاؤُهَا. فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوهُ. ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ! فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَيُعْطِي رَبُّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَائِقَ مَا شَاءَ اللَّهُ. فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ. فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَاهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ. ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطَيْتَكَ. وَيُنَادِي يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتَكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ فَيَقُولُ: لَا. وَعَزَّتِكَ فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَائِقَ. فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ. فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ. ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ. وَيُنَادِي يَا ابْنَ آدَمَ! مَا أَغْدَرَكَ! فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ. فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ، قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّهُ. فَيَسْأَلُ رَبُّهُ وَيَتَمَنَّى. حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ. يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلَهُ: ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ.

وفي رواية لمسلم: قال النبي ﷺ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا. قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ أَلَمَ أُكْرِمَكَ، وَأُسَوَّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. قَالَ فَيَقُولُ: أَفَطَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ أَلَمَ أُكْرِمَكَ، وَأُسَوَّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ، وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسَ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. أَيُّ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَطَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟

فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّلَاثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ. وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ. فَيَقُولُ: هَلْهَا إِذَا. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبَعْتُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ. وَبَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَيْهِ فِيهِ. وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي. فَتَنْطِقُ فِخْذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ. وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ. وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ. وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهَ عَلَيْهِ».

وفي رواية لمسلم من حديث جابر رضي الله عنه: «فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ. قَالَ فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ. وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ، مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ، نُورًا. ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ. وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ وَحَسَكٌ. تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ. ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ».

١٤٠- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «نَعَمْ». قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهْرِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا. إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَدْنَى مُؤَدَّنٌ: لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ، كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ، إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ. وَغَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنِ اللَّهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَمَاذَا تَبْعُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا. يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرُدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا. فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ بَنَ اللَّهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ. مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْعُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا. يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. قَالَ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلَا تَرُدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ التِّي رَأَوْهُ فِيهَا. قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا! فَارْقِنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرًا مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا) حَتَّى إِنَّ

بَعْضُهُمْ لِيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ. فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ. فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ. وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِبَاءً إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً. كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ النَّبِيُّ رَأُوهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ. فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ. وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ. وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزَلَّةٌ. فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَالَالِيبِ وَحَسَكٌ. تَكُونُ يَنْجِدٍ فِيهَا شُوبِكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ. فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ. فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ. وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ. وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدِّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِفْصَاءِ الْحَقِّ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ. فَيَقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَتُحَرِّمُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْنَا بِهِ. فَيَقُولُ: ارْجِعُوا. فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا. فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا. فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا». وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَافْرُوا إِنْ شِئْتُمْ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها وَيؤتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} «فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ. قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَقْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ. فَيُخْرِجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ. أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ. مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصْفِرُّ وَأُخْيَضِرُ. وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضُ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ. قَالَ: «فَيُخْرِجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمِ. يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ. هُوَ لَأَيُّ عِتْقَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمَلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ. ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ. فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا! أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ. فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

ولمسلم : قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ.

١٤١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ. وَلَكِنْ قَوْمٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ (أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ) فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً. حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا. أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ. فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ. فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ. ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ. فَيَسْتَبُونَ نَبَاتَ الْجَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ. رواه مسلم

ترجمة راوي الأحاديث:

أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان .
أبو سعيد الخدري رضي الله عنه تقدمت ترجمته في الحديث السابع من كتاب الإيمان .

تخريج الأحاديث:

حديث أبو هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم حديث (١٨٢)، وأخرجه البخاري في " كتاب التوحيد " باب قول الله تعالى: {وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ} إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ [سورة القيامة ٢٣]، حديث (٧٤٣٧)، وأخرجه النسائي في كتاب التطبيق " باب موضع السجود " حديث (١١٣٩)
وأما حديث أبي سعيد رضي الله عنه فأخرجه مسلم حديث (١٨٣)، وأخرجه البخاري في " كتاب التفسير " باب "إن الله لا يظلم مثقال ذرة " حديث (٤٥٨١).
وأما حديث أبي سعيد رضي الله عنه الذي يليه فأخرجه مسلم حديث (١٨٥) وانفرد به عن البخاري، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب الزهد " " باب ذكر الشفاعة " حديث (٤٣٠٩).

شرح ألفاظ الأحاديث:

- "هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟": في تقييد السؤال بيوم القيامة إشارة إلى أن السؤال لم يقع عن الرؤية في الدنيا، لأنه لا خلاف في عدمها، وإنما السؤال والبحث في رؤيته جل وعلا في الآخرة.

- "هَلْ تُضَارُونَ": روي بضم التاء وتشديد الراء، من الضر والمعنى: هل تضرون غيركم، أو يضركم أحد في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية؟ والإستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي لا يحصل ذلك كما لا يحصل عند رؤيتكم القمر ليلة البدر.

وروي بضم التاء وتخفيف الراء، من الضير، أي هل يلحقكم في رؤيته ضر؟ وفي الرواية الأخرى "هل تضامون في رؤيته" روي بفتح التاء وتشديد الميم، والمعنى هل ينضم بعضكم إلى بعض عند رؤيته، وروي بضم التاء وتخفيف الميم من الضيم، والمعنى هل يلحقكم ضيم ومشقة وتعب [انظر شرح النووي (٢٠/٣) والمفهم (٤١٤/١)].

- "فَإِنْكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ": المراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك ورفع المشقة، لا تشبيه المرئي بالمرئي تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما كاف التشبيه للرؤية التي هي فعل الرائي.

- "الصَّرَاطُ": حسر على متن جهنم.

- "كَلَالِيبُ": جمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة وهي حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم.

- "مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ": السعدان بفتح السين وسكون العين وهو نبات ذو شوك، شوكته من جميع الجوانب، مثل الحسك، وتشبيه الكلاليب بشوك السعدان لسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها ولتقريب الصورة ضرب لهم مثلاً بما عرفوه وألفوه في الدنيا، وحتى لا يتوهم أن حجمها صغير كشوك السعدان قال ﷺ: "غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ."

- "فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدْ ائْتَحَشُوا": بفتح التاء والحاء أي احترقوا.

- "مَاءُ الْحَيَاةِ": أي هو الماء الذي من يشربه أو يتطهر به لم يمّت أبداً.

- "كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ": "الْحَبَّةُ": بكسر الحاء وتشديد الباء بذر البقول والعشب، "حَمِيلِ السَّيْلِ": بفتح الحاء وهو ما يحمل السيل ويجيء به من طين أو غثاء، والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته. [انظر شرح النووي (٢٤/٣)]

- "فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا": بفتح القاف والشين المخففة أي آذاني وأهلكني وغير جلدي.

- "وَأَحْرَقَنِي ذِكَاؤُهَا": أي لهيها وشدة وهجها.

- "انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ": بفتح الفاء والحاء والقاف أي انفتحت.

- "تَمَنَّهُ": الهاء هنا للسكت، والأصل تمنّ، وهاء السكت يؤتى بها في آخر الكلمة ووردت في القرآن الكريم كما في سورة الحاقة كلمة (كتابي، وحسابي، ومالي، وسلطاني) قال تعالى: { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ

فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ۗ
* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ { [سورة الحاقة من ٢٥-٢٩].

- "وَعَبَّرَ أَهْلَ الْكِتَابِ": بضم الغين وفتح الباء المشددة جمع غابر أي بقايا أهل الكتاب، أبقاهم الله تعالى لأنهم يعبدون بشراً صالحاً فاليهود يعبدون عزيزاً والنصارى المسيح، فلا يُذهب بمعبوداتهم إلى النار بخلاف الأنصاب فيقتيهم ليوبخهم توبيخاً خاصاً.

- "كَانَتْهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا": السراب هو الذي يتراءى للناس في الأرض والقاع المستوي وسط النهار في الحر الشديد لامعاً مثل الماء، فالكفار يأتون جهنم عطاشاً يحسبونها ماء فيتساقطون فيها يحطم بعضها بعض لشدة اتقادها.

- "فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرًا مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ": مقصودهم التضرع إلى الله في كشف هذه الشدة، وأنهم لزموا طاعة الله في الدنيا مفارقين أقاربهم الضالين مع حاجتهم للتعایش معهم لكنهم فارقوهم ولم يصاحبوهم وقدموا رضا الله عليهم.

- "إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً": الطبق فقار الظهر أي صار فقاره واحدة كالصفحة لا يستطيع ثنيها ليسجد.

- "ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ": الجسر بفتح الجيم وكسرهما لغتان مشهورتان وهو الصراط

- "دَحْضٌ مَرَّلَةٌ": "دَحْضٌ" بدال مفتوحة وحاء ساكنة، و"مَرَّلَةٌ" بفتح الميم وفي الزاي الفتح والكسر، والدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر.

- "فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ وَحَسَكٌ": الخطاطيف جمع خطاف بضم الحاء وهي بمعنى الكلاليب وتقدم بيانها، والحسك: بفتح الحاء والسين، نبات ذو شوك من جميع الجهات يتعلق بأصواف الغنم، ويتخذ مثله في الشكل من الحديد آلة حرب.

- "فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ": "نَاجٍ" من النجاة سالم، "مَخْدُوشٌ" من أصابه خدش ثم أرسل أي خلص ونجا بعدما خدش وأصابه ما أصابه.

- "وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ": ومنه تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضاً، والمعنى أنهم ثلاثة أقسام: قسم يسلم وينجو بلا ضرر، وقسم ينجو بعدما يخدش، وقسم مكدوس ويُلقى في جهنم.

- "رَبَّنَا لَمْ نَدْرُ فِيهَا خَيْرًا": أي صاحب خير.

- "فِيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ. قَدْ عَادُوا حُمَمًا": أي صاروا حمماً بضم الحاء وفتح الميم الأولى المخففة أي فحماً والواحدة حممة.

- "فَيَلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ": أفواه جمع فوهة وهي أول الشيء.
- "فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ": أي في التلألؤ والنضارة والصفاء.
- "فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ": قال النووي رحمه الله: "قال صاحب التحرير: المراد بالخواتم هنا أشياء من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم علامة يعرفون بها" [شرح مسلم (٣/٣٣)]
- "أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ": أي أهل النار المستحقون للخلود فيها فهم لا يموتون ولا يحيون حياة تنفعهم كما قال تعالى: {لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا}
- [فاطر: ٣٥].
- "ضَبَائِرُ ضَبَائِرٍ": الضبائر الجماعات.

من فوائد الأحاديث:

- الفائدة الأولى: في الأحاديث ما يدل على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة بلا تزاحم ولا مضارة، واستدل بحديثي أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما من قال برؤية المنافق لله تعالى يوم القيامة، وتقدم الكلام عن هذه المسألة ومسألة الرؤية بالتفصيل في الحديث السابق.
- الفائدة الثانية: في الأحاديث ما يدل على إثبات عدة صفات لله تعالى:

أولاً: صفة الإتيان لله تعالى :

لقوله " فيأتيهم الله تبارك وتعالى..."، وتحت صفة المجيء والإتيان عدة مباحث:

*المبحث الأول : معتقد أهل السنة والجماعة في هاتين الصفتين

أهل السنة والجماعة يشبّهون صفتي المجيء والإتيان لله تعالى وأنه يجيء ويأتي بنفسه سبحانه، من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وهما من الصفات الفعلية الخيرية، والصفات الفعلية هي التي يتصف بها الله تعالى إذا شاء وليس على الدوام، بل يتصف بها سبحانه في وقت دون وقت .

*المبحث الثاني : صفتا المجيء والإتيان ثابتتان بالكتاب والسنة والإجماع

- فمن الكتاب: قوله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}، وقوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ}

- ومن السنة : أحاديث الباب، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : قال الله تعالى : "...وإن تقرب إلي ذراعاً ، تقرب إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" متفق عليه، وفي رواية لمسلم "وإذا تلقاني ببيع ، جئته (وفي رواية): أتيته بأسرع".

- وإجماع السلف على ذلك: قال أبو حسن الأشعري : " وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة والمملك صفاً صفاً " [انظر رسالته لأهل الثغر من (٢٢٧)]

*المبحث الثالث : المخالفون لأهل السنة

المخالفون لأهل السنة والجماعة من المعطلة كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة يؤولون الجيء والإتيان لله فيقدرون محذوفاً ، ويقولون : (جاء أمر ربك ، وأتى أمر ربك) فلا يثبتون الجيء والإتيان لله بنفسه ، ويقولون في قوله تعالى : {وَجَاءَ رَبُّكَ} أي أمر ربك ، وفي قوله " أو يأتي ربك " أي أمر ربك ، مستدلين بقوله تعالى : {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} وهذا تأويل باطل وصرف للنص عن ظاهره .

والرد عليهم : .

١- أن هذا التأويل مخالف لطريقة السلف رحمهم الله .

٢- أن تأويلكم هذا مخالف لظاهر النصوص ، ولا دليل على هذا التأويل .

٣- أن قولكم بأن المراد : (جاء أمر الله وأتى أمر الله) واستدلالكم بقوله تعالى : {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} هو استدلال عليكم لا لكم ، لأن فيه بياناً بأن الله عز وجل لو أراد هذا المعنى لذكره في بقية الآيات كما ذكره هنا ، بل أصرح من ذلك أن الله تعالى في آية واحدة بيّن صفة الإتيان لنفسه ، والإتيان لغيره فقال تعالى : {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} وهذا التقسيم والبيان لإتيان الملائكة وإتيانه سبحانه وإتيان بعض آياته تقسيم يبعد معه التقدير لأنه لو أراد أمره سبحانه كما تزعمون لذكره في هذه الآية فليس هناك ما يمنع ذكره .

تنبيه :

بعض المفسرين المتأثرين بمذهب الأشاعرة في إثبات بعض الصفات ، ينقلون إجماعاً وكلاماً عن السلف لا يصح ، فمما نقلوه ونسبوه للسلف هو تنزيه الله تعالى عن صفتي الجيء والإتيان ، وأن السلف كانوا يسكتون ولا يعتقدون أن الله تعالى مجيئاً حقيقياً، بل يقولون لا نتكلم ولا ندري ما معناها ولا نبحت في دلالتها ، وهذا القول نسبته للسلف غير صحيحة بل السلف رحمهم الله يثبتون صفتي الجيء والإتيان لله تعالى كما

يليق بجلاله وعظمته سبحانه ولا يبحثون عن كيفية مجيئه وإتيانه سبحانه كما يثبتونها من غير تكليف ولا تحريف ومن غير تعطيل ولا تمثيل . [انظر شرح اللمعة للشيخ عبدالرحمن المحمود ص (١٢٨ - ١٢٩)]

الصفة الثانية: صفة الصورة لله تعالى

لقوله: "فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون.."، وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الصورة لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكليف، ويدل عليها :

- ١- حديث أبي هريرة وحديث أبي سعيد في الباب ، ففي حديث أبي هريرة : " فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون" وفي حديث أبي سعيد: "وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة"
 - ٢- حديث ابن عباس رضي الله عنه قال النبي ﷺ: " رأيت ربي في أحسن صورة " رواه الترمذي ، والحديث مروى عن جمع من الصحابة وصححه البخاري والترمذي ومن المتأخرين أحمد شاكر والألباني رحم الله الجميع .
- إشكال وجوابه: في حديث أبي هريرة في الباب "فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون"

قال شيخنا ابن عثيمين: " وهل الناس يعرفون صورة الله؟ يعرفون: أنه ليس كمثل شيء، فيأتيهم على صورة على غير هذا الوصف، أو هل المعنى: أنه يتغير، أو أن يتغير نظر الناس، بمعنى: يخيل إليهم على أنه بصورة غير صورته؟ الظاهر أن المراد الثاني، وإن كان هذا خلاف ظاهر اللفظ؛ لكن لأن الله تعالى لا يتغير فيحتمل على هذا، والحاصل أنهم يرونه على صورة معينة في أول الأمر ثم على صورته التي هي عليه عز وجل" [التعليق على مسلم ١ / ٦٢٣]

الصفة الثالثة: صفة الكلام لله تعالى

لقوله: " فيقول: أنا ربكم... " وتحت صفة الكلام عدة مباحث:

*المبحث الأول : معتقد أهل السنة والجماعة في صفة الكلام

أهل السنة والجماعة يثبتون صفة الكلام لله تعالى كما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكليف ولا تمثيل، فيعتقد أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل يتكلم ويقول وينادي وأن كلامه بصوت وحرف.

*المبحث الثاني : صفة الكلام دلل عليها الكتاب والسنة والإجماع

- فمن الكتاب : على الكلام قوله تعالى {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} وعلى القول قوله تعالى : {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} ، وعلى النداء قوله تعالى : {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى}

- ومن السنة: في الدلالة على صفة الكلام قصة الإفك وقول عائشة رضي الله عنها : "... ولشأنني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمرٍ يتلى" رواه البخاري ومسلم وعلى القول والنداء حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً : " يقول الله : يا آدم ! فيقول : لبيك وسعديك ، فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار " رواه البخاري.

- وأجمع السلف على إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه بصوت وحرف .

قال الأصبهاني في " الحجة " (١ / ٣٣١ و ٣٣٢) : " وخاطر أبو بكر رضي الله عنه (أي راهن قوماً من أهل مكة) فقرأ عليهم القرآن ، فقالوا : هذا من كلام صاحبك . فقال : " ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ، ولكنه كلام الله تعالى " ولم ينكر عليه أحد من الصحابة . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر : " إن هذا القرآن كلام الله " فهو إجماع الصحابة وإجماع التابعين بعدهم .. وفي قول أبي بكر رضي الله عنه : " ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ، إنما هو كلام الله تعالى " إثبات الحرف والصوت لأنه تلا عليهم القرآن بالحرف والصوت " وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى ١٢ / ٣٠٤) : " واستفاضت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة أنه سبحانه ينادي بصوت .. ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال : إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف ، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف "

- وأيضاً دلَّ العقل على إثبات صفة الكلام : ووجه ذلك أن عدم الكلام صفة نقص في مقاييس البشر فكيف يرب البشر ؟ فعند البشر الأخرس الذي لا يتكلم فيه علة ونقص ، والله عز وجل جعل عجز الآلهة عن الكلام دليلاً على أنها لا تصلح آلهة فقال عن عجل بني إسرائيل { أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ } وقال عن الأصنام { فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ }

*المبحث الثالث : المخالفون لأهل السنة

أشهر من خالف السنة في صفة الكلام من المبتدعة طائفتان :

الأولى : المعتزلة والجهمية : وهؤلاء ينكرون صفة الكلام ويقولون أنه ليس من صفات الله تعالى وإنما هو خلق من خلق الله كسائر المخلوقات كالسموات والجبال وغيرها، مخلوقات منفصلة فكذلك الكلام هو من خلق الله ، خلقه في الهواء أو في المكان الذي يُسمع منه ، وأما إضافته لله تعالى فهي إضافة تشريف

فكما تقول ناقة الله ، وبيت الله ، أيضاً نقول كلام الله من باب إضافة التشريف ومن هنا جاءت مقالاتهم الضالة المشهورة بخلق القرآن وقصتهم مع الإمام أحمد مشهورة .

والرد عليهم .:

- ١- أن هذا الاعتقاد مخالف لطريقة السلف و إجماعهم الذي تقدم بيانه .
- ٢- أن هذا مخالف لظاهر النصوص الدالة على إثبات صفة الكلام لله تعالى ومنها .:
- ٣- أن موسى عليه السلام سمع الله جل وعلا يقول : {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي} طه: ١٤ ، ولا يمكن ولا يجوز أن يقول ذلك أحد إلا الله .
- ٤- أن قولكم هذا يرده العقل ، فلا يمكن أن يكون الكلام وصفاً قائماً بنفسه ، بل الكلام دليل على المتكلم فهو صفة للمتكلم لا منفصلاً عنه .

٥- أن نفي صفة الكلام عن الله تعالى نفي لصفة كمال ، فالقول بنفي صفة الكلام وصف ناقص ، فإذا كان المخلوق الذي لا يتكلم كأن يكون أحرساً تعتبر في حقه صفة نقص ، فكيف بالخالق والله المثل الأعلى ، وتعالى الله عما تقولونه المبتدعة ، والله عز وجل عاب عجل بني إسرائيل بقوله : {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمُ} الأعراف: ١٤٨ ، وقد استفاضت الأدلة على إثبات هذه الصفة .

٦- نقول مما يدل على أن كلام الله غير مخلوق أنه ثبت في الصحيح من حديث خولة بنت حكيم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك " ولو كانت كلمات الله مخلوقة لما جازت الاستعاذة بها لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

الطائفة الثانية : الأشاعرة : والأشاعرة يثبتون صفة الكلام فهي من الصفات السبع التي يثبتونها لكنهم يقولون : إن الكلام الذي نشبته هو الكلام القائم بذاته سبحانه لا ينفصل عنه فالكلام عندهم هو المعنى القائم في النفس فقط فالله متصف بالكلام أزلاً ولا يتكلم بمشيئته سبحانه ثم إن كلام الله عندهم من غير صوت ولا حرف ، وإذا قيل ماذا تقولون في القرآن الذي هو كلام الله تعالى ؟ قالوا : هذا ليس هو كلام الله وإنما هو عبارة أو حكاية عن كلام الله عبّر به جبريل أو محمد صلى الله عليه وسلم وليس كلام الله حقيقة ، وهذا اعتقاد باطل وفساد يقتضي أن يقولوا : أن القرآن مخلوق ، لأنه إذا كان القرآن الذي بين أيدينا هو من كلام محمد أو جبريل فهو عندهم مخلوق فلا فرق بهذا الاعتبار بينهم وبين المعتزلة والجهمية .

إذن ملخص معتقدتهم في صفة الكلام .:

١- أنهم يثبتون صفة الكلام ولكن هذا الكلام هو القائم في ذات الله سبحانه لا ينفصل عنه فهو معنى قائم في النفس من غير صوت ولا حرف أشبه بخواطر النفس ونحو ذلك ، وما يوجد في القرآن هو حكاية عن كلام الله لا حقيقته .

٢- أنهم يثبتون أن الله تكلم أولاً أي أن نوعه قديم وأنه لا يتكلم بمشيئته وإرادته سبحانه .

والرد عليهم .:

١- أن هذا خلاف طريقة السلف وإجماعهم الذي تقدم بيانه .

٢- أن هذا خلاف ظاهر النصوص التي تدل على أنه سبحانه يتكلم بصوت وحرف .

٣- أن اعتقادكم يخالف الأدلة التي تدل على أن كلام الله يُسْمَع ، ولا يسمع إلا الصوت ، فلو كان معنى قائم بالنفس كما تظنون لما سُمِع ، وتقدم حديث عبدالله بن أنيس وأن الله ينادي الخلائق يوم القيامة بصوت مسموع .

٤- أن المعروف من الكلام هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمرة في نفسه .

٥- أن بعض العلماء يقول رداً على هذا الاعتقاد الباطل : من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسي فقد زعم أن الله لم يرسل رسولاً ، ولم ينزل كتاباً ، لأنه إذا كان بلا صوت ولا حرف فكيف يرسل رسولاً أو ينزل كتاباً؟

٦- أن من زعم أن كلام الله هو معنى نفسي فقد زعم أن الله أخرس وهذه صفة نقص كما تقدم تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية على من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسي كما تعتقد الأشاعرة من تسعين وجهاً ولذا يقول ابن القيم في نونيته .:

تسعون وجهاً بينت بطلانه *** أعني كلام النفس ذي البطلان

وهناك فرقٌ وطوائفٌ خاضت في صفة الكلام بعقيدة باطلة فخالفوا السلف منهم الكلائية والاتحادية وفلاسفة المتأخرين وغيرهم .

رابعاً: إثبات صفة الضحك لله تعالى

لقوله في حديث أبي هريرة: "حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه"، وتحت صفة الضحك عدة مباحث:

المبحث الأول : معتقد أهل السنة والجماعة في صفة الضحك

أهل السنة والجماعة يثبتون صفة الضحك لله تعالى كما يليق بعظمته وجلاله من غير تحريف ولا تكييف ومن غير تعطيل ولا تمثيل، وهي صفة فعلية خبرية .

المبحث الثاني : صفة الضحك دلل عليها السنة والإجماع

- فمن السنة : حديث أبي هريرة في الباب، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة " متفق عليه .

وهذا الحديث فُسر بأن أحدهما كافر يقتل المسلم فالمسلم شهيد والشهيد في الجنة، ثم يسلم الكافر والمسلم ماله إلى الجنة، فصار كلاهما يدخل الجنة .

- أجمع السلف رحمهم الله على إثبات صفة الضحك لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه ، قال الإمام ابن خزيمة (في كتاب التوحيد ٢ / ٥٦٣) : " باب ذكر إثبات ضحك ربنا عز وجل : بلا صفة تصف ضحكه [أي بلا تكييف لضحكه] جل ثناؤه ، ولا يُشبهه ضحكه بضحك المخلوقين ، وضحكهم كذلك ، بل نؤمن بأنه يضحك ، كما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم ، ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا ، إذ الله عز وجل استأثر بصفة ضحكه ، لم يطلعنا على ذلك ، فنحن قائلون بما قال النبي صلى الله عليه وسلم مصدقون بذلك ، بقلوبنا منصتون عمًا لم يبيّن لنا مما استأثر الله بعمله "

المبحث الثالث : المخالفون لأهل السنة

المخالفون لأهل السنة والجماعة من المبتدعة كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، يفسرون صفة الضحك بالقبول والثواب ، وهو تأويل باطل .

والرد عليهم :

١- أن هذا مخالف لطريقة السلف رحمهم الله .

٢- أن هذا مخالف لظاهر النصوص التي فيها إثبات لهذه الصفة .

٣- أن تأويلكم هذا لا دليل عليه .

خامساً: إثبات صفة الساق لله تعالى، كما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، لقوله في حديث أبي سعيد "فيكشف عن ساق" وفي رواية البخاري: "يكشف ربنا عن ساقه"

سادساً: إثبات صفة الرضا لله تعالى

لقوله في حديث أبي سعيد: " فيقول لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضي فلا أسخط عليكم بعده أبدا" وتحت صفة الرضا عدة مباحث:

المبحث الأول : معتقد أهل السنة والجماعة في صفة الرضا

أهل السنة والجماعة يثبتون صفة الرضا لله سبحانه وتعالى ، من غير تكييف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تحريف، وهي من الصفات الفعلية الخيرية ، فالله ﷻ يتصف بها متى شاء فليست صفة ذاتية أي ملازمة للذات لا تنفصل عنه سبحانه بل هي صفة فعلية يتصف بها الله تعالى متى شاء.

المبحث الثاني : صفة الرضا دلل عليها الكتاب والسنة والإجماع

- فمن الكتاب: قوله تعالى: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}
- ومن السنة : حديث أبي سعيد في الباب، وحديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم مرفوعاً: " اللهم أني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ..."
- وإجماع السلف على ذلك حيث لا يُعلم فيهم مخالف رحمهم الله ورضي عنهم .
- قال أبو إسماعيل الصابوني: " وكذلك يقولون - أي يثبتون - في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ، ووردت بها الأخبار الصحاح ، من : السمع ، والبصر ، والعين .. والرضا ، والسخط .." [انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث ص (٥)]

المبحث الثالث : المخالفون لأهل السنة

المخالفون لأهل السنة والجماعة من المعطلة كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم يؤولون صفة الرضا بإرادة الثواب فيقولون (رضي الله عنهم) أي أثابهم الله تعالى .

والرد عليهم :

- ١- أن هذا مخالف لطريقة السلف .
- ٢- أن هذا التأويل مخالف لظاهر النصوص ولا دليل على هذا التأويل .
- ٣- أن إرادة الثواب ثمرة من ثمرات الرضا ، وليس هو الرضا ، ففرق بين الصفة وثمراتها .

المبحث الرابع : من الأعمال التي ينال بها المسلم رضا الله تعالى

١- الإيمان بالله والعمل الصالح ، لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} .

٢- نفقة المال طلباً لرضا الله جل وعلا ، لقوله تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ} .

٣- الرضا بالبلاء ، لحديث أنس رضي الله عنه: " إن عِظَمَ الجزاء مع عِظَمَ البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا، ومن سَخِطَ فله السخط " رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني .

٤ - حمد الله على الأكل والشرب ، لحديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: " إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها " رواه مسلم .

٥- السواك : لحديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: " السواك مطهرة للفم مرضاة للرب " رواه البخاري تعليقاً ووصله أحمد .

الفائدة الثالثة: في الأحاديث إثبات الصراط، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه "وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ " وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه: " ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ " وفي الكلام على الصراط عدة مباحث :

- تعريف الصراط

الصراط لغة : الطريق الواضح الواسع

وشرعاً : جسر ممدود على جهنم يعبر الناس عليه إلى الجنة.

- الصراط ثابت بالكتاب والسنة والإجماع

فمن الكتاب : قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} مريم: ٧١ ، فقد فسرها عبدالله بن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط ، وفسرها جماعة منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها.

ومن السنة : حديث أبي سعيد الخدري في الباب، وفيه : " ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم " متفق عليه .

وأجمع أهل السنة على إثبات الصراط

- وهل الصراط واسع أو ضيق ؟

اختلف في سعة الصراط على قولين :

القول الأول : أن الصراط طريق واسع .

واستدلوا :

١- بأن الصراط في اللغة هو الطريق الواسع .

٢- حديث الباب وفيه: قول النبي ﷺ في صفة الصراط : " مَدْخُضَةٌ مَرَّلَةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ "

ووجه الدلالة : أن الدحض والمزلة والكلايب لا تكون إلا في طريق واسع .

والقول الثاني : أن الصراط طريق دقيق ضيق جداً .

واستدلوا : بما قاله أبو سعيد في حديث الباب قال : بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف، وبنحوه عند أحمد جاء مرفوعاً من حديث عائشة رضي الله عنها، وجاء عند الحاكم من حديث سلمان مرفوعاً أنه كحد موسى، والله أعلم بالراجح، ومن خلال الخلاف السابق تبين لنا صفة الصراط وأنه ممدود فوق جهنم عليه كلاليب وخطاطيف تخطف الناس بحسب أعمالهم نسأل الله السلامة والتجاوز

- حال الناس على الصراط وعبورهم عليه

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ - فذكر حديث الشفاعة وفيه - : " فيأتون محمداً فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق " قال : قلت بأبي أنت وأمي ! أي شيء كمر البرق ؟ قال : " ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ثم كمر الطير ، وشدّ الرجال ، وتجري بهم أعمالهم ، ونيكم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم ، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً ، قال : وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار " .

قال شيخ الإسلام في عقيدته الواسطة : " يمر الناس عليه على قدر أعمالهم ، فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر كركاب الإبل ، ومنهم من يعدو عدواً ، ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يزحف زحفاً ، ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم "

نسأل الله حسن التجاوز عن ذنوبنا في الدنيا ، وعلى الصراط يوم الفرار .

قال ابن حجر عند ذكر الأمانة والرحم في الحديث السابق: "أي يقفان في ناحية الصراط، والمعنى أن الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان هناك للأمين والخائن والواصل والقاطع فيحاجان عن الحق ويشهدان على المبطل" [انظر الفتح المجلد (١١) كتاب لرقاق، باب الصراط جسر جهنم] .

- أول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد ﷺ ومن الأمم أمته

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الباب أن النبي ﷺ قال: " فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم، سلم"

قال النووي: " (ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل) معناها لشدة الأهوال، والمراد لا يتكلم في حال الإجازة، وإلا ففي يوم القيامة مواطن يتكلم الناس فيها وتجادل كل نفس عن نفسها ويسأل بعضهم بعضاً ويتلاومون، ويخاصم التابعون المتبوعين والله أعلم، قوله ﷺ: " (ودعوى الرسل يومئذ سلم سلم) هذا من كمال شفقتهم ورحمتهم للخلق، وفيه أن الدعوات تكون بحسب المواطن فيدعى في كل موطن بما يليق به والله أعلم" [انظر شرح النووي لمسلم المجلد الثاني، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية] والمرور على الصراط عام للمؤمنين، ومن ادعى الإيمان (كالمناققين) ولكن المنافقين لا يجاوزون الصراط، بل الصراط آخر محطة لهم إلى النار والعياذ بالله .

- ثم بعد الصراط يقف المؤمنون في القنطرة

والقنطرة مكان خاص بالمؤمنين ولا يسقط أحد منهم في النار، بل هو مكان يقتص لبعضهم من بعض اقتصاصاً يكون به تهذيب نفوسهم وإزالة ما في القلوب من الغل والحسد قبل أن يدخلوا الجنة وهذا اقتصاص غير الاقتصاص الأول فيهدبون من الشوائب قبل دخول الجنة كما قال تعالى: { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف: ٤٣، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " إذا خلص المؤمنون من الصراط حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقصص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُدِّبوا ونُقِّوا، أُذن لهم بدخول الجنة، فألحدهم أهدي إلى منزله في الجنة من منزله الذي كان في الدنيا" رواه البخاري.

-الفائدة الرابعة: الأحاديث دليل على شدة الموقف يوم القيامة على الناس، وشدة خوف الرسل مع ما هم عليه من الإيمان والمنزلة - وهم أشد الناس أمناً من العذاب - إلا أن دعواهم: " اللَّهُمَّ! سَلِّمْ، سَلِّمْ" وهذا من كمال شفقتهم ورحمتهم.

-الفائدة الخامسة: في الأحاديث الحث على التمسك بطريق الهداية، والاستكثار من الأعمال الصالحة، لأن النجاة وسرعة العبور على الصراط، بحسب الأعمال الصالحة، لقوله ﷺ في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: "فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ. فَتَنَاجُ مُسَلِّمٌ. وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ. وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ"، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "تَخَطَّفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ. فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ يَقِي بِعَمَلِهِ. وَمِنْهُمْ الْمُجَازِي حَتَّى يُنَجَّى"

-الفائدة السادسة: الأحاديث دليل على إثبات النار، وأن الذنوب هي سبب ورودها، ففي حديث أبي سعيد رضي الله عنه: "وَلَكِنْ قَوْمٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ"

-الفائدة السابعة: الأحاديث دليل على إثبات القضاء بين العباد.

-الفائدة الثامنة: في الأحاديث دليل على فضل التوحيد، وأن الموحّد لا يخلد في النار، ولا خلاف بين العلماء في سقوط من لم تشملهم رحمة الله في النار وفي هذا ردّ على المرجئة وغلاتهم الذين قالوا بأنه لا يضر مع الإيمان شيء، وأنه لن يدخل النار أحد من الموحدين وهذا واضح البطلان يرد عليه أحاديث الباب، وهي ردّ أيضاً على الخوارج الذين قالوا بتخليد صاحب الكبيرة، فإن إخراج العصاة من النار بالشفاعة كما في أحاديث الباب رد عليهم.

-الفائدة التاسعة: الأحاديث فيها إثبات الشفاعة، وإكرام الله تعالى للملائكة والنبيين والمؤمنين بأن يشفعوا في غيرهم.

-الفائدة العاشرة: في الأحاديث دلالة على شؤم الذنوب والمعاصي وأنها سبب دخول النار كما تقدم حتى الموحّد المصلي لا ينجو منها إن لم تدركه رحمة الله تعالى، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ. يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ. تَأْكُلُ النَّارُ مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ"

-الفائدة الحادية عشر: في حديث أبي هريرة رضي الله عنه دليل على فضل السجود والإكثار منه، فيستكثر العبد من الصلاة، فإن النار تأكل كل شيء في الإنسان إلا مواضع السجود، قال النبي ﷺ: "حرم الله على النار أن أكل مواضع السجود" ومواضع السجود سبعة، قال بعض المتوسلين:-

يا رب أعضاء السجود عتقتها ** من فضلك الوافي وأنت الباقي

والعتق يسري في الغنى يا ذا الغنى ** فامنن على الفاني بعتق الباقي

وهو يتوسل إلى الله تعالى بأن يعتق ببقية أعضائه من النار، كما أن عتق الرقيق إذا أعتق جزء منه سرى العتق إلى جميعه.

-الفائدة الثانية عشر: حديث أبي سعيد رضي الله عنه فيه دلالة على أن عذاب الموحدين في النار يختلف باختلاف مراتبهم فمنهم من تأخذه النار إلى ساقيه ومنهم إلى ركبتيه، وفيه دلالة على أن النار مع عظمتها لا تتجاوز الحد الذي أمرت بإحراقه.

-الفائدة الثالثة عشر: في حديث أبي هريرة رضي الله عنه بيان حال آخر أهل الجنة دخولاً، وعظيم فضل الله تعالى عليه، وفيه ما طُبع عليه ابن آدم من قوة الطمع ووجود الحيلة، وفيه فضل الدعاء وقوة الرجاء في إجابة الدعاء حتى في آخر اللحظات، وفيه جواز القسم بصفات الله تعالى لقوله " وَعِزَّتِكَ " ويشهد له قول الله تعالى: { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } ص: ٨٤، وفي حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: "تقول النار: قط قط وعزتك" رواه البخاري، وفي قصة الرجل أيضاً دليل على أن للنار رائحة كريهة، لقول: "قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا" أي آذاني.

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: "لأن وقود النار: الناس والحجارة، فستكون هناك رائحة كريهة مما سيحترق منها من الأجسام والحجارة" [التعليق على مسلم (٦٣٠/١)]

-الفائدة الرابعة عشر: في الأحاديث حسن تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وتقريب العلم لهم بالسؤال والجواب، وفيه تفصيل الجواب وزيادة عليه بما يظن أنهم يحتاجونه، فهم سألوه عن رؤية الله تعالى فأجابهم وزادهم، كما سئل مرة عن ماء البحر هل يتوضأ به؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "هو الطهور ماؤه الحل ميتته" رواه أصحاب السنن الأربعة، مع أن الميتة لم يقع عنها السؤال، لكنه أجابهم لما يظن من حاجتهم له، وهكذا ينبغي لمعلم الناس أن يزيدهم بما يظن حاجتهم له من إرشاد لخير أو تنبيه عن خطأ ونحوه.

-الفائدة الخامسة عشر: حديث أبي هريرة رضي الله عنه فيه دلالة على أن الأمور في الآخرة لا تشبه ما في الدنيا إلا في الأسماء، فالنبي صلى الله عليه وسلم شبه الكلاب التي على الصراط بشوك السعدان المعروف في الدنيا من حيث التسمية لكنه في حقيقته يختلف حيث قال لأصحابه صلى الله عليه وسلم: "هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟" قَالُوا: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ. غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ" وفيه حسن التعليم بالتشبيه والتقريب وهكذا يقال في المسميات التي جاء وصفها في الجنة كالنخل والرمان والفاكهة واللحم والأنهار ونحوها فإنها وإن تشابهت الأسماء إلا أن الحقيقة تختلف .

-الفائدة السادسة عشر: في حديث أبي سعيد رضي الله عنه تقسيم الناس في ذهابهم إلى النار على ثلاثة أقسام:

الأول: من لا يجسسون وإنما يذهبون وما يعبدون من الأصنام والأنصاب إلى نار جهنم كما قال تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} الأنبياء: ٩٨ وهم سائر الكفار إلا أهل الكتاب.

الثاني: يجلسون ثم يوبخون على ما ادعوه من عبادتهم كاليهود في عبادتهم في الدنيا عزيزاً والنصارى في عبادتهم المسيح وهؤلاء يجلسون ويعطشون ويطلبون ماء فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب وهي نار يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون فيها.

الثالث: المنافقون وهم يكونون مع المؤمنين أول الأمر ويجازون من جنس أعمالهم كما كانوا يخادعون في عبادتهم في الدنيا فإنهم يفضحون بعدم استطاعتهم السجود فيعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً كلما أراد أن يسجد انكفاً على قفاه، وهم يظنون أن تسترهم بالمؤمنين سينفعهم كما نفعهم في الدنيا فيتوجهون إلى الصراط، فيقول المنافقون للذين آمنوا: {انظُرُونَا نَقْتِسِبَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَاتِمِسُوا نُورًا} سورة الحديد: ١٣ فيرجعون إلى المكان الذي فيه قسم النور فلا يجدون شيئاً فيندفعون إلى النار.

-الفائدة السابعة عشر: حديث أبي سعيد رضي الله عنه فيه فضيلة الأخوة في الله التي جماعها طاعته جل وعلا بالصيام والصلاة والحج ونحوها، فأهل الجنة لم ينسوا إخوانهم الذين كانت تجمعهم بهم الطاعة فيشفعون لهم ويناشدون الله فيهم أعظم مناشدة، ففي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم: "قَوْلَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِغْصَاءِ الْحَقِّ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مِنْ عَرْفَتُمْ. فَتُحَرَّمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ. ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا! مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ: ارْجِعُوا. فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا! لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا." "

-الفائدة الثامنة عشر: في الأحاديث سعة فضل الله تعالى بإخراجه من النار من قلَّ إيمانه ومعه أصل التوحيد حتى يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من خير كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه حتى يقولون عن النار " رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا " حتى يخرج الله أقواماً من أهل التوحيد لم يعملوا خيراً قط بعدما أحرقتهم النار فيصلح حالهم في نهر الحياة فيعرفهم أهل الجنة يقولون: " هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِعَبْرٍ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ. ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ... «الحديث .

-الفائدة التاسعة عشر: في حديث أبي سعيد رضي الله عنه الآخر بيان أهل النار الذين كتب عليهم الخلود فيها وهم الكفار لا يموتون فيها فيسترحون ولا يحيون فيها حياة كريمة تنفعهم كما قال تعالى: {ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} الأعلى: ١٣، وكما قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ} فاطر: ٣٦، أما عصاة المؤمنين فلا يطلق عليهم أهل النار لأنهم لن يخلدوا

فيها وإنما يعذبون بقدر ذنوبهم، ثم يخرجون منها بفضل الله وشفاعته، قال النبي ﷺ "وَلَكِنَّ قَوْمًا أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ" أَوْ قَالَ "بِحَطَايَاهُمْ".

-الفائدة العشرون: في الأحاديث دلالة على أن عذاب الآخرة متفاوت حيث تقدم بيان أصناف من الناس واختلاف عذابهم.

باب آخر أهل النار خروجاً

١٤٢ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ. رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُحَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى. فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. قَالَ فَيَأْتِيهَا فَيُحَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى. فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا. أَوْ إِنَّ لَكَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا. قَالَ فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي أَوْ أَتَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟» قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً.

١٤٣ - وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ. فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُوءُ مَرَّةً. وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً. فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا انْتَفَتَ إِلَيْهَا. فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكَ. لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. فَتَرَفَعُ لَهُ شَجْرَةٌ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجْرَةِ فَلَا سِتْظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: لَا. يَا رَبِّ وَبِعَاهِدِهِ أَنْ لَا يَسْأَلُهُ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ. لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ. فَيُدْنِيهِ مِنْهَا. فَيَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا. ثُمَّ تَرْفَعُ لَهُ شَجْرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتِظِلَّ بِظِلِّهَا. لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلُهُ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ. لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا. فَيَسْتِظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا. ثُمَّ تَرْفَعُ لَهُ شَجْرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأَوَّلِينَ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتِظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا. لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى. يَا رَبِّ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ. فَيُدْنِيهِ مِنْهَا. فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا،

فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْخَلْنِيهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِيئِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ». فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ ضَحِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ» وفي رواية: «فَيَذْهَبُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ. فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ. فَيَقَالُ لَهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقَالُ لَهُ: تَمَنَّ. فَيَتَمَنَّى. فَيَقَالُ لَهُ: لَكَ الَّذِي تَمَنَيْتَ وَعَشْرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا» رواه مسلم .

ولمسلم أيضاً من حديث أبي سعيد بنحوه وفيه: «ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ. فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا وَأَحْيَانَا لَكَ. قَالَ فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ».»

ترجمة راويي الأحاديث:

ابن مسعود رضي الله عنه تقدمت ترجمته في الحديث الحادي والثلاثين من كتاب الإيمان.
وأبو سعيد رضي الله عنه تقدمت ترجمته في الحديث السابع من كتاب الإيمان.

تخريج الأحاديث:

حديث ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه مسلم حديث " ١٨٦"، وأخرجه البخاري في " كتاب الرقاق " باب صفة الجنة والنار " حديث " ٦٥٧١"، وأخرجه الترمذي في " كتاب صفة جهنم " حديث " ٢٥٩٥"، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد " باب صفة الجنة " حديث " ٤٣٣٩"
وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه فأخرجه مسلم حديث " ١٨٧" وانفرد به.
وأما حديث أبي سعيد فأخرجه مسلم حديث " ١٨٨" وانفرد به.

شرح ألفاظ الأحاديث:

- " رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبُوءًا": وفي رواية أخرى "زحفاً" قال أهل اللغة: الحبو المشي على اليدين و الرجلين، وربما قالوا على يديه ومقعدته. [انظر شرح النووي (٣/٣٩)، وانظر النهاية في (ح ب و)]
والحبو والزحف متقاربان، وعلى القول باختلافهما فإنه يحمل على أنه يزحف تارة ويحبو أخرى.

- "مَلَأَى": أي مملوءة لا مكان فيها.
- "أَتَسَخَّرُ بِي أَوْ أَتَضَحَّكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟": هذا شك من الراوي، والمعنى أتفعل بي ما يفعله من يسخر أو يضحك بي، وقال ذلك حين استخفه الفرح، وأدهشه الموقف وسعة العطاء.
- "حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ": أي ظهرت أواخر أضراسه أو أنيابه. [انظر النهاية والقاموس المحيط و الوسيط (ن ج ذ)]
- " فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً. وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً": أي يسقط على وجهه ، وتسفعه النار : بفتح التاء وسكون السين وفتح العين معناه : تلفح وجهه حتى يسودّ ويؤثر فيه.
- " وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ": بفتح الباء وسكون العين وكسر الذال يقال: عذره يعذره أي يقبل عذره.
- " يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِيْبِي مِنْكَ؟": الصَّرِي: القطع، والمعنى: أي شيء يرضيك ويقطع مسألتك مني؟
- " أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؟": أي أتذكر الدنيا التي كنت فيها؟
- " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا وَأَحْيَانَا لَكَ": أي الذي خلقك لنا وخلفنا لك وجمعنا في هذه الدار الدائمة السرور .

من فوائد الأحاديث:

- الفائدة الأولى: في الأحاديث علم من أعلام النبوة وهو إعلام الله تعالى لنبيه ﷺ بأخر أهل النار خروجاً وآخر أهل الجنة دخولاً، واختُلف هل الشخص الذي في حديثي ابن مسعود ﷺ هو نفسه الذي تقدم في حديث أبي هريرة قريباً وفيه قصة الرجل المقبل بوجهه على النار قال النبي ﷺ: " وهو آخر أهل الجنة دخولاً" وموطن الإشكال أن الرجل في حديثي ابن مسعود ﷺ آخر أهل النار خروجاً وفي حديث أبي هريرة ﷺ لم يدخلها وإنما مقبل بوجهه على النار.
- قال ابن حجر رحمه الله في الجواب عنه: " فيحتمل أنهما اثنان إما شخصان وإما نوعان أو جنسان، وعُبر فيه بالواحد عن الجماعة لاشتراكهم في الحكم الذي كان سبب ذلك، ويحتمل أن يكون الخروج هنا بمعنى الورد وهو الجواز على الصراط فيتحد المعنى إما في شخص واحد أو أكثر" [فتح الباري ١١/٤٤٣]
- الفائدة الثانية: حديث ابن مسعود ﷺ فيه دلالة على أن الواجب يسقط بالعجز، ووجهه أن الرجل أمر أن يدخل الجنة فذهب ووجدها ملاءى حسب ما تخيل له، وظن أنه لا يستطيع أن يدخل فرجع ولم يعاتبه الله تعالى وإنما أمره أن يدخل ثانية.

-الفائدة الثالثة: في الأحاديث بيان فضل الله تعالى وسعة عطائه، فهذا آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ومع ذا أعطاه الله تعالى عشرة أضعاف الدنيا بما فيها حتى استخفه الفرح وأدهشه سعة العطاء فقال "أتسخر بي أو اتضحك بي وأنت الملك؟" وفي الرواية الأخرى "أتستهزئ مني وأنت رب العالمين" قال القرطبي رحمه الله: "يحتمل أن يكون هذا القول صدر من هذا الرجل عند غلبة الفرح عليه، واستخفافه إياه، فغلط كما غلط الذي قال "اللهم أنت عبدي وأنا ربك" ويحتمل أن يكون معناه: أتجازيني على ما كان مني في الدنيا من الإستهزاء والسخرية بأعمالي وقلة احتفالي بها، فيكون هذا على جهة المقابلة، كما قال تعالى " [المفهم ٢٠٣/٧]

قال القاضي عياض رحمه الله: "هذا كلام صدر من هذا الرجل وهو غير ضابط لما قاله، لما ناله من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله فلم يضبط لسانه دهشاً وفرحاً، فقال وهو لا يعتقد حقيقة معناه، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق" [شرح مسلم ٤٠/٣]

-الفائدة الرابعة: في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ما طُبع عليه ابن آدم من الطمع كما تقدم وهو في هذه الحال طمع محمود ويعذر عليه كما عذره الله تعالى لأنه يرى ما لا يصبر له عليه فلا ينتقل إلى حال إلا ويطمع بما بعدها، قال ابن حجر رحمه الله: "قال الكلاباذي: إمساكه أولاً عن السؤال حياءً من ربه، والله يجب أن يسأل، لأنه يجب صوت عبده المؤمن فيبسطه بقوله أولاً "لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا"، وهذه حال المقصر فكيف حال المطيع؟ وليس نقض هذا العبد وعده وتركه ما أقسم عليه جهلاً منه ولا قلة مبالاة بل علماً منه بأن نقض هذا العهد أولى من الوفاء به؛ لأن سؤاله ربه أولى من ترك السؤال مراعاة للقسم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "من حلف على يمين فرأى خيراً منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير"، فعمل هذا العبد وفق هذا الخبر والتكفير قد ارتفع عنه في الآخرة" [الفتح ٤٦١/١١]

-الفائدة الخامسة: الحديث دليل على إثبات صفة الضحك لله تعالى لقوله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه"، وتحت صفة الضحك عدة مباحث:

*المبحث الأول : معتقد أهل السنة والجماعة في صفة الضحك

أهل السنة والجماعة يشبّون صفة الضحك لله تعالى كما يليق بعظمته وجلاله من غير تحريف ولا تكيف ومن غير تعطيل ولا تمثيل، وهي صفة فعلية خبرية .

*المبحث الثاني : صفة الضحك دلل عليها السنة والإجماع

- فمن السنة : حديث أبي هريرة في الباب، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة " متفق عليه .

وهذا الحديث فُسِّرَ بأن أحدهما كافر يقتل المسلم فالمسلم شهيد والشهيد في الجنة، ثم يسلم الكافر والمسلم مآله إلى الجنة، فصار كلاهما يدخل الجنة.

- أجمع السلف رحمهم الله على إثبات صفة الضحك لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه ، قال الإمام ابن خزيمة (في كتاب التوحيد ٢ / ٥٦٣) : " باب ذكر إثبات ضحك ربنا عز وجل : بلا صفة تصف ضحكه [أي بلا تكييف لضحكه] جل ثناؤه، ولا يُشَبَّه ضحكه بضحك المخلوقين، وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك، كما أعلم النبي ﷺ، ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا، إذ الله ﷻ استأثر بصفة ضحكه ، لم يطلعنا على ذلك ، فنحن قائلون بما قال النبي ﷺ مصدقون بذلك بقلوبنا منصتون عمّا لم يبيّن لنا مما استأثر الله بعمله "

*المبحث الثالث : المخالفون لأهل السنة

المخالفون لأهل السنة والجماعة من المبتدعة كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، يفسرون صفة الضحك بالقبول والثواب ، وهو تأويل باطل .

والرد عليهم :

(١) أن هذا مخالف لطريقة السلف رحمهم الله .

(٢) أن هذا مخالف لظاهر النصوص التي فيها إثبات لهذه الصفة .

(٣) أن تأويلكم هذا لا دليل عليه .

-الفائدة السادسة: قوله تعالى: "إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ" تمسك به المعتزلة ليستدلوا به على اعتقادهم الفاسد بأن الله لا يقدر على أفعال العباد، ووجه ذلك أن من أعمال العباد ما لا يشاؤها فلا يقدر عليها وهذا معنى "وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ" ومفهومه عندهم أن ما لا يشاؤه لا يقدر عليه تعالى تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً فله القدرة الكاملة التي لا يلحقها عجز ولا نقص، والجواب على استدلالهم أن المعنى بأن الله تعالى أراد أن يطمئن الرجل الذي استبعد أن يحصل له هذا النعيم بأنه جلا وعلا إذا شاء شيئاً فهو قادر عليه أينما كان هذا الشيء، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ سورة الشورى: ٢٩ فليس المعنى أنه على جمعهم إذا شاء قدير، وإذا لم يشأ فليس بقدير، بل له المشيئة الكاملة وهو قدير على ذلك شاء أو لم يشأ، ومتى شاء أن يجمعهم جمعهم سبحانه وتعالى.

-الفائدة السابعة: في حديث أبي سعيد رضي الله عنه بيان نعيم آخر لأهل الجنة منزلة بأن له زوجتين من الحور العين فكيف بمن فوقه منزلة؟ تدخلان عليه فتقولان " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا وَأَخْيَانَا لَكَ "

قال الشيخ السعدي رحمه الله قوله تعالى: {وَحُورٌ عِينٌ} سورة الواقعة: ٢٢ أي ولهم حور عِين، والحوراء التي في عينيها كحل وملاحة، وحسن وبهاء، والعين حسان الأعين وضخامها، وحسن العين في الأنثى من أعظم الأدلة على حسنها وجمالها" [تفسير السعدي لسورة الواقعة آية (٢٢) ص (٨٣٣)]

باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها

١٤٤ - عن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ كَيْفَ؟ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيَقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيْتُ، رَبِّ فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيْتُ، رَبِّ فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ. وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَدَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيْتُ، رَبِّ قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةٌ؟ قَالَ: أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي. وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ» قَالَ: وَمُصَدِّقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} رواه مسلم .

١٤٥ - وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ. وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا. رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَيَقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا. فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ. فَيَقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَكَذَا وَكَذَا. وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: نَعَمْ. لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْكَرَ. وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ فَيَقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هُنَا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. رواه مسلم .

ولمسلم أيضا من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللَّهِ. فَيَلْتَفِتُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا فَلَا تُعِدَّنِي فِيهَا. فَيُنْجِيهِ اللَّهُ مِنْهَا».

١٤٥ - وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ؟» زاد البخاري: «كَأَنَّهُمْ الشَّعَائِرُ» قلت: وما الشعائير؟ قال: الضغائيس. وكان قد سقط فمهُ .

وللبخاري أيضا عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُخْرَجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا مَسَّهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيُسَمَّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: الْجَهَنَّمِيِّينَ». وجاءت تسمية الجهنميين عند مسلم من حديث جابر .

ترجمة رواية الأحاديث:

المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي رضي الله عنه يكنى أبا عبد الله وقيل: أبو عيسى، أسلم عام الخندق، وشهد الحديبية، وكان موصوفاً بالدهاء، قال الشعبي: ودهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزباد" ولاه عمر البصرة ثم ولاه الكوفة حتى قتل عمر رضي الله عنه فأقره عثمان رضي الله عنه عليها ثم عزله، شهد اليمامة، وفتوح الشام، وذهبت عينه باليرموك، وشهد القادسية، وشهد فتح نهاوند، واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وهو أول من وضع ديوان البصرة، وتوفي بالكوفة سنة خمسين رضي الله عنه وأرضاه. [انظر أسد الغابة ٥/٢٤٧]

أما أبو ذر رضي الله عنه فتقدمت ترجمته في الحديث الثاني والأربعين من كتاب الإيمان.

وأما أنس رضي الله عنه فتقدمت ترجمته في الحديث الثالث من كتاب الإيمان.

وأما جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقد تقدمت ترجمته في الحديث الخامس من كتاب الإيمان.

تخريج الأحاديث:

حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أخرجه مسلم حديث "١٨٩" وانفرد به عن البخاري، وأخرجه الترمذي في " كتاب التفسير " باب ومن تفسير سورة السجدة " حديث "٣١٩٨".

وأما حديث أبي ذر فأخرجه مسلم حديث "١٩٠" وانفرد به عن البخاري أيضاً، وأخرجه الترمذي في كتاب "صفة جهنم" "باب ماجاء أن للنار نفسين" حديث "٢٥٩٦".

وأما حديث أنس "يخرج من النار أربعة" فأخرجه مسلم حديث "١٩٢" وانفرد به .

وأما حديث جابر فأخرجه مسلم حديث "١٩١" ، وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق " باب صفة الجنة والنار" حديث "٣٥١٤".

وأما حديث أنس رضي الله عنه " يخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سفح...." فأخرجه البخاري في " كتاب الرقاق " " باب صفة الجنة والنار " حديث " ٢٥١٥ " وانفرد به عن مسلم "

شرح ألفاظ الأحاديث:

- " سَأَلَ مُوسَى : النبي موسى عليه السلام، رسول بني إسرائيل.
- " أَيُّ رَبِّ كَيْفَ؟ " : يارب كيف أدخل الجنة ولا مكان فيها والناس نزلوا منازلهم.
- " وَأَخَذُوا أَحَدَاتِهِمْ؟ " : أي أماكنهم.
- " رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةٌ؟ " : أي فما حال أعلى أهل الجنة منزلة؟
- " أَوْلِيكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ " : أي اخترت واصطفيت.
- " غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي " وَحَتَمْتُ عَلَيْهَا " : قال النووي: ومعناه اصطفتيهم وتوليتهم ، فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير " [شرح النووي ٤٥/٣]
- " وَمَصْدَاقُهُ " : أي دليله وما يصدقه.
- «كَأَنَّهُمُ الثَّعَالِبُ» قلت: وما الثعالب؟ قال: الضغابيس: قال ابن الأثير رحمه الله: " الثعالب هي القثاء الصغار، شبهوا بها لأن القثاء ينمي سريعاً، وقيل هي رؤوس الطرائث تكون بيضاً، شبهوا ببياضها، واحدها طُرْتُوث وهو نبت يؤكل " [النهاية/ مادة (ث ع ر) ص ١٢٣]
- وقال عن الضغابيس: وهي صغار القثاء واحدة ضغبوس، وقيل هي نبت ينبت في أصول الثمام يشبه الهليون يُسَلَقُ بالخل والزيت ويؤكل " [النهاية ، مادة (ض غ ب س) ص ٥٤٥]
- " وكان قد سقط فمه " : أي سقطت أسنانه
- "سَفْعٌ": أي سواد فيه زرقه، يقال سفعته النار أي لفتحه النار فغيرت لون بشرته. [الفتح ٤٢٩/١١]
- " الجهنميين " : جمع جهنمي نسبة إلى جهنم، والمراد أنهم عتقاء الله.

من فوائد الأحاديث:

-الفائدة الأولى: الأحاديث فيها بيان أدنى أهل الجنة منزلة وآخرها دخولاً، وآخر أهل النار خروجاً وأن له أضعاف ملك الدنيا وله ما اشتتهت نفسه ولذة عينه مع ما هو فيه من دنو المنزلة. وفي هذا بيان الفضل العميم من الله تعالى عليه من صغار الذنوب بأيامها وهو معترف لا يخفى عليه منها شيء بل شأنه الإقرار بها.

وأما الستر فهو لكبار ذنوبه التي أشفق من كشفها وإقراره بها بعدما أقرَّ بصغار ذنوبه فإذا الله يسترها ويغفرها.

وأما الإبدال فهي لكل سيئة بحسنة، فما أعظمها من مغفرة وستر وفضل مع هذا الأدنى فكيف بمن علاه منزلة؟

-الفائدة الثانية: حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فيه بيان أعلى أهل الجنة منزلة وأن الله عزو جل تولاهم واصطفاهم فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير حيث تولى كرامتهم فغرسها بيده من غير توسط ملك من الملائكة زيادة في إكرامهم، وختم على هذه الكرامة لئلا يراها غيرهم فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر نعيمهم كما قال تعالى: **{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }** قال ابن كثير رحمه الله: " فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله تعالى لهم في الجنان من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاء وفاقاً، فإن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن البصري رحمه الله: أخفى القوم عملهم فأخفى الله تعالى لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر" [تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٣٦٧]

-الفائدة الثالثة: حديث المغيرة رضي الله عنه فيه دلالة على أن الجنة درجات بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها، كما قال تعالى: **{ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً }**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فبيّن الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وأن درجاتهم أكبر من درجات الدنيا وقد بين أن تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين" [الفتاوى ١١ / ١٨٨] .

-الفائدة الرابعة: حديث المغيرة رضي الله عنه فيه دلالة على أن من صفات أهل الجنة الرضا لقول الرجل الذي هو أدنى أهل الجنة منزلة بعدما أنعم الله عليه " رَضِيتُ، رَبِّ " والرضا عام في جميع أهل الجنة ففي حديث أبي سعيد المتفق عليه قال النبي ﷺ: " إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك ، قالوا : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً" .

والرضا أيضاً هي من صفة الله تعالى كما تقدم الكلام عليها قريباً بل هي من أعلى درجات النعيم في الجنة

-الفائدة الخامسة: حديث المغيرة رضي الله عنه فيه إثبات صفة من صفات الله تعالى الخيرية وهي صفة اليد لقوله " غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي " والكلام على صفة اليد من عدة مباحث:

المبحث الأول : معتقد أهل السنة والجماعة في هذه الصفة

أهل السنة والجماعة يشبّون صفة اليدين لله تعالى كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، من غير تكيف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وهي من الصفات الذاتية الخيرية .

المبحث الثاني : صفة اليدين ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع

- فمن الكتاب : قول الله تعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} المائدة: ٦٤ .

- ومن السنة : حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " رواه مسلم .
وحديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : " إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك وسعديك ، والخير في يديك " متفق عليه .

- ومن الإجماع ، قال أبو الحسن الأشعري : " وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى ، وأن له تعالى يدين مبسوطتين " [انظر رسالته إلى أهل الثغر ص (٢٢٥)] .

المبحث الثالث : المخالفون لأهل السنة

المخالفون لأهل السنة والجماعة من المعطلة كالجهمية والمعتزلة يؤولون صفة اليدين ويقولون المراد بها : القدرة أو النعمة أو القدرة والنعمة ، وتقدم أن من أول صفة من الصفات فقد عطلها عن معناها الحقيقي ، ولذا نقول هم معطلة أيضاً ، وهذا أشهر تأويلاتهم أن المراد باليدين النعمة والقدرة ، وهناك تأويلات أخرى لهم فيؤولونها بـ (القوة ، والملك ، والسلطان ، والرزق ، والخزائن ، والبركة ، والكرامة ، والعناية) ولكن كما تقدم أن أشهر تأويلاتهم النعمة والقدرة ، فهذا قول الجهمية والمعتزلة ومتأخري الأشاعرة ، ويسمون (الأشاعرة المحضة) بخلاف متقدمي الأشاعرة فهم يشبّون صفة اليدين ولا يؤولونها .
والرد عليهم من وجوه :

١- أن تفسير اليد بالقدرة والنعمة مخالف لظاهر لفظ الآية ، ولا دليل على هذا التأويل .

٢- أنه مخالف لإجماع السلف ، فلا يعرف أحد أولها بالقدرة والنعمة .

٣- أن تأويلها بالقدرة والنعمة ممتنع في بعض الآيات .

مثال ذلك : قوله تعالى : {لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدِي} ص: ٧٥ اليد جاءت بالثنية وتأويلها بالنعمة يلزم أن تكون النعمة نعمتين فقط وهذا ممتنع لأن نعم الله لا تحصى قال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} وأيضاً

تأويلها بالقدرة يستلزم أن يكون له سبحانه قدرتان ولا يجوز أن يكون له سبحانه قدرتان بإجماع العلماء فهذا لا يقوله أحد وكذلك في قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة: ٦٤ يلزم أن يكون له قدرتان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٤- أن الله ﷻ يقول: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ص: ٧٥ ولو كان المراد القدرة ، لم يكن لآدم فضل على غيره لأن الخلق كلهم خلقوا بقدرة الله ، بل لم يكن لآدم فضل على إبليس في هذه الآية فإبليس خلق بقدرة الله تعالى والله ﷻ في الآية أمره بالسجود لآدم ذاكراً مزياً لآدم أنه خلق بيديه سبحانه وتعالى .

٥- أن اليد التي أثبتها الله لنفسه جاءت في الأدلة مقرونة بأمور كثيرة تدل على أنها يد حقيقية فجاءت على وجوه يمتنع تأويلها بالقدرة والنعمة فجاءت مقرونة بالطي ، والقبض والبسط واليمين .

قال ابن القيم: " ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً ، متصرفاً فيه ، مقروناً بما يدل على أنها يدٌ حقيقية ، من الإمساك ، والطّي ، والقبض ، والبسط ، والمصافحة ، والحثيات ، والنضح باليد ، والخلق باليدين ، والمباشرة بهما ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده ، وتخمير طينة آدم بيده ، ووقوف العبد بين يديه ، وكون المقسطين عن يمينه ، وقيام رسول الله ﷺ يوم القيامة عن يمينه ، وتخيير آدم بين ما في يديه ، فقال: " اخترت يمين ربي " وأخذ الصدقة بيمينه يريها لصاحبها ، وكتابتها بيده على نفسه : أن رحمته تغلب غضبه ، وأنه مسح ظهر آدم بيده ، ثم قال له - ويده مقبوضتان - " اختر " فقال: " اخترت يمين ربي " وكلتا يديه يمين مباركة ، وأن يمينه ملأى لا يغيبها نفقة سحاء الليل والنهار ، ويده الأخرى القسط ، يرفع ويخفض ، وأنه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، وأنه يطوي السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يطوي الأرض باليدين الأخرى ، وأنه خط الألواح التي كتبها لموسى بيده " [انظر مختصر الصواعق المرسله " ص (٣٤٨)] ورد ابن القيم على من يؤول اليد بالنعمة والقدرة من وجوه عديدة تصل إلى عشرين وجهاً .

المبحث الرابع : أهل السنة والجماعة يثبتون أن لله يدين اثنتين

يعتقد أهل السنة والجماعة أن لله يدين اثنتين كما يليق بجلاله وعظمته سبحانه ، وهذا بإجماع السلف رحمهم الله ، وبدل على ذلك :

١- قول الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة: ٦٤

٢- قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي﴾ ص: ٧٥

- فإن قيل : كيف نجتمع بين معتقد أهل السنة والجماعة بأن لله يدين اثنتين ، وبين ما ورد في بعض الآيات من ورود اليد بلفظ المفرد كقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ الملك: ١ ورودها بلفظ الجمع كقوله تعالى: ﴿ أَوْلَم يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ يس: ٧١ فالجواب كما يلي :-

الجواب عن لفظ المفرد بثلاثة أجوبة :

الأول : أنه لم يُسَقَّ اللفظ لبيان العدد ، وإنما لبيان الجنس ، ولبيان الجنس يكفي لفظ المفرد لأن اسم الواحد يدل على الجنس المراد .

الثاني : أن لفظ المفرد في الآية جاء مضافاً فقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ الملك: ١ (بيده) اليد مضاف والهاء في محل جر مضاف إليه ، وكذلك في الآيات الأخرى كقوله : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الفتح: ١٠ فلفظ اليد مضاف ولفظ (الله) وَجَّكَ لْإِعْرَابِهِ مضاف إليه ، ومعلوم أن المفرد المضاف يفيد العموم ، فيعم كل ما ثبت لله تعالى من يد والثابت لله تعالى يدان .

الثالث : أن الله قال لبيان سعة عطائه وكثرة جوده: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ المائدة: ٦٤ فبيّن أن كثرة العطاء وسعة الجود وبسط النعمة باليدين كليهما ، راداً به على اليهود الذين قالوا: ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ أفردوها لأن اليد الواحدة أقل من عطاء الاثنتين ووصفوها بأنها مغلولة أي قليلة العطاء ولو كانت يداً واحدة لرد عليهم ببيان أن البسط والجود في اليد الواحدة ولو كانت أكثر من اثنتين لذكرها الله وَجَّكَ لْإِعْرَابِهِ لأن المقام يقتضي بيان كثرة العطاء بجميع ما له من يد سبحانه ، فقال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ المائدة: ٦٤ لبيّن سبحانه أن كل ما لديه من يد فهي مبسوطة وهما اثنتان .

- الجواب عن لفظ الجمع بثلاثة أجوبة :

الأول : أن المراد بالجمع هنا ليس بيان العدد وإنما للتعظيم ، وليس المراد أن لله أكثر من اثنتين .

الثاني : أن من لغة العرب استعمال لفظ الجمع في الاثنتين ، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ تَشْوَبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ والمقصود عائشة وحفصة رضي الله عنهما وهما اثنتان والمتبادر إلى الذهن أن يقال (قلباكما) لأن المقصود قلبان لعائشة وحفصة رضي الله عنهما ومع ذلك جاء بصيغة الجمع (قلوبكما) وهذا دليل على أن استعمال لفظ الجمع يكون للاثنتين في لسان العرب .

الثالث : أن في لسان العرب أن المثني إذا أضيف إلى ضمير الجمع يجوز جمعه من أجل خفة اللفظ ، وهنا المثني أضيف إلى ضمير الجمع (نا) فجاز جمعه (أيدينا) بدل (يَدَيْنَا) لخفة النطق . وبما سبق يزول الإشكال في ورود لفظ اليد مفرداً ومجموعاً .

المبحث الخامس : هل توصف إحدى يدي الله تعالى بالشمال

هذه من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم - رفع الله قدرهم - على قولين، وقبل ذكر القولين لابد من معرفة أنهم متفقون على أن يديَّ الله تعالى يمين في البذل والعطاء ، وأن إحداها يمين في الاسم، واختلفوا في اسم اليد الأخرى على قولين :

القول الأول : أن الأخرى توصف بالشمال

واختار هذا القول الدارمي ، وأبو يعلى والشيخ محمد بن عبد الوهاب في آخر كتاب التوحيد والشيخ عبد الله الغنيمان

[انظر إبطال التأويلات لأبي يعلى الفراء ص (١٧٦) وكتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب المسألة السادسة وشرح الغنيمان لكتاب التوحيد من صحيح البخاري المجلد الأول] .

واستدلوا :

١- بحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: "يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ! أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول " الحديث رواه مسلم .

٢- الأحاديث الواردة بإثبات اليمين لله كحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً " يمين الله ملأى " متفق عليه ، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً مرفوعاً: " ويطوي السماء بيمينه " متفق عليه وغيرها من الأدلة التي جاءت بوصف إحدى اليدين يمين ، وهذا يقتضي أن إحدى اليدين ليست يميناً فتكون شمالاً .

ووصفها أيضاً الدارمي باليسار والشمال واستدل بحديث أبي الدرداء عند أحمد وفيه " أن الله ﷻ قال للتي في يساره (أي في يده اليسار) : إلى النار و لا أبالي "

القول الثاني : أن كلتا يدي الله يمين لا شمال ولا يسار فيهما

واختار هذا القول الإمام ابن خزيمة (في كتاب التوحيد) والإمام أحمد والبيهقي والألباني . [انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة (١ / ١٥٩) وطبقات الحنابلة لأبي يعلى (١ / ٣١٣)]

واستدلوا:

١- بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعاً: " إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزوجل وكلتا يديه يمين " رواه مسلم .

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي وفيه قال النبي ﷺ " اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة "

وناقشوا أدلة القول الأول : بأن حديث ابن عمر رضي الله عنهما وفيه لفظه (الشمال) هي لفظه شاذة تفرد بها عمر بن حمزة عن سالم عن ابن عمر ، والحديث عند البخاري من طريق عبيدالله عن نافع عن ابن عمر ، وعند مسلم من طريق عبيدالله بن مقسم عن ابن عمر ، وليس عندهما لفظه (الشمال) ، وأيضاً الحديث رواه أبو داود وقال بدل (بشماله) ، (بيده الأخرى) وهذا هو الموافق لقوله صلى الله عليه وسلم " وكلتا يديه يمين " وأما استدلالهم الثاني فليس بصريح لأنه لا يمنع أن تكون اليد الأخرى يميناً أيضاً . وعليه فالاستدلال الأول ليس بصحيح والثاني ليس بصريح ، وناقش أصحاب القول الأول أدلة أصحاب القول الثاني : بأن قول النبي صلى الله عليه وسلم (كلتا يديه يمين) لا يمنع أن تكون إحدى يديه شمالاً في الاسم وهي يمين في الخير والبركة والعتاء . والأظهر والله أعلم أن يقال : أن صفات الله تعالى توقيفية ، فنقول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " كلتا يديه يمين " حتى يصح عندنا خبر أن يده الأخرى تسمى شمالاً أو يساراً فنقول بهذا الوصف . [انظر كتاب صفات الله لعلوي السقاف ص (٣٧٩)] .

-الفائدة السادسة: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه فيه إثبات الشفاعة لأقوام يخرجهم الله تعالى من النار وفي هذا ردّ على المعتزلة الذين أنكروا هذه الشفاعة، وردّ على الخوارج في إنكار إخراج أهل الكبائر من النار.

-الفائدة السابعة: في حديث أنس رضي الله عنه دلالة على فضل الله تعالى على أقوام يخرجون من النار بعدما غيرتهم النار ، وجاء في حديثي أبي هريرة وأبي سعيد قريباً أنهم يلقون في نهر يقال له نهر الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل، وجاء في حديث جابر رضي الله عنه كأنهم الثعالب أو الضغابيس وفي رواية مسلم كالقراطيس وكل هذه التشبيهات لبيان عودتهم على أحسن هيئة في البياض والصفاء بعدما غيرتهم النار وسودت وجوههم وبشرتهم، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين أي الذين أعتقهم الله من جهنم، وجاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه الذي تقدم قريباً وفيه " فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله "

١٤٦ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: أُنِّي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا بِلَحْمٍ. فَرُفِعَ إِلَيْهِ الدَّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَهَسَّ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَهَلْ تَدْرُونَ بِمِ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوْلِيْنَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ. فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصْرَ. وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ. وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ. فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ. فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ. خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا

لَكَ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ. وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ. نَفْسِي. نَفْسِي. اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي. اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ. وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي. نَفْسِي. نَفْسِي. اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَذَكَرَ كَذِبَاتِهِ. نَفْسِي. نَفْسِي. اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى. فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. فَضَلَّكَ اللهُ، بِرِسَالَاتِهِ وَتَكْلِيمِهِ، عَلَى النَّاسِ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا. نَفْسِي. نَفْسِي. اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ. فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ. وَلَمْ يَذْكَرْ لَهُ ذَنْبًا. نَفْسِي. نَفْسِي. اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي. اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ. وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَانْطَلِقْ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي. ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي. ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ. سَلْ تُعْطَهُ. اشْفَعْ تُشْفَعُ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي. أُمَّتِي. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ، مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ، مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ. وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ. فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصَارِعِ الْجَنَّةِ لَكُمَْا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجْرٍ. أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى».

وجاء هذا الحديث في الصحيحين من حديث أنس أيضاً وفيه من الزيادات :

«ثُمَّ أَخْرَجَهُ لِي سَاجِدًا. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ. وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ. وَسَلْ تُعْطَهُ. وَاشْفَعْ تُشْفَعُ. فَأَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي. أُمَّتِي. فَيُقَالُ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ

فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ. ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ آخِرُ لَهُ سَاجِدًا. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ. وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ. وَسَلْ تُعْطَهُ. وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: أُمَّتِي. أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ. ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ. ثُمَّ آخِرُ لَهُ سَاجِدًا. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ. وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ. وَسَلْ تُعْطَهُ. وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي. أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجَهُ مِنَ النَّارِ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ».

وفيه : «ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ. ثُمَّ آخِرُ لَهُ سَاجِدًا. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ. وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ. وَسَلْ تُعْطَ. وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ انْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ وَلَكِنْ، وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَايَ وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَايَ لِأَخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وفيه : وَذَكَرَ فِي الرَّابِعَةِ «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ. أَيُّ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ». وعند البخاري معلقا : « ثم تلا الآية: { عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً }، قال: وهذا المقام المحمود الذي وَعَدَهُ نبيكم صلى الله عليه وسلم».

وفي حديث أبي هريرة وحذيفة : « فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا . فَيَقُومُ فَيُؤَدِّنُ لَهُ . وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ . فَتَقُومَانِ جَنَبَتِي الصَّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا . فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ ... ».

وللبخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : « إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًّا ، كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا . يَقُولُونَ : يَا فُلَانُ اشْفَعْ ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمُحْمَدُ ».

ترجمة رواية الأحاديث:

أبو هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

وأنس رضي الله عنه تقدمت ترجمته في الحديث الثالث من كتاب الإيمان.

وحذيفة رضي الله عنه تقدمت ترجمته في الحديث الثالث والسبعين من كتاب الإيمان.

وابن عمر رضي الله عنه تقدمت ترجمته في الحديث السادس من كتاب الإيمان.

تخريج الأحاديث:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم حديث " ١٩٤ "، وأخرجه البخاري في " كتاب أحاديث الأنبياء " باب قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ حديث " ٣٣٤٠ "، وأخرجه الترمذي في " كتاب الزهد " باب ما جاء في الشفاعة " حديث " ٢٤٣٤ "، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب الأئمة " باب أطيب اللحم " مختصراً حديث " ٣٣٠٧ " وأما حديث أنس رضي الله عنه فأخرجه مسلم حديث " ١٩٣ "، وأخرجه البخاري في " كتاب التوحيد " باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم " حديث " ٧٥١٠ " وأما حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما فأخرجه مسلم حديث " ١٩٥ "، وانفرد به عن البخاري، وأما حديث ابن عمر رضي الله عنهما فأخرجه البخاري في كتاب التفسير " باب قوله تعالى ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ الإسراء: ٧٩ " حديث " ٤٧١٨ "، وانفرد به عن مسلم .

شرح ألفاظ الأحاديث:

- " فَرَزَعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ " : كانت تعجبه الذراع وهي يد الحيوان لنضجها ولذتها، وفائدة ذكر الراوي لهذا الوصف زيادة توثيق الرواية.

" فَتَنَّهَسَ مِنْهَا نَهَسَةً " : أكثر الرواة رووه بالسين، ووقع في بعض الروايات بالشين وكلاهما بمعنى واحد، أي أخذ بأطراف اسنانه، وقيل: النهس الأخذ بأطراف البنان، والنهش بالأضراس.

- " أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " : قال القاضي عياض رحمه الله: " قيل السيد الذي يفوق قومه، والذي يفرغ إليه عند الشدائد، والني ﷺ سيدهم في الدنيا والآخرة وإنما خص يوم القيامة لارتفاع السؤدد فيها "] شرح النووي لمسلم ٦٢/٣

- " فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ " : الصعيد الأرض الواسعة المستوية.

- " فَيَسْمِعُهُمُ الدَّاعِي " : بضم الياء وكسر الميم: أي يصل صوت الداعي إليهم جميعاً بقوة ووضوح.

- " وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصْرُ " : بفتح الياء وضم الفاء والذال، أي يدركهم البصر لأن الأرض تكون سطحاً واحداً بخلاف الآن فهي مكورة، قال القرطبي رحمه الله: " معناه: أنهم مجتمعون مهتمون بماهم فيه، لا يخفى منهم أحد، بحيث إن دعاهم داع سمعوه، وإن نظر إليهم ناظر أدركهم، ويحتمل أن يكون الداعي هو الذي يدعوهم إلى العرض والحساب أو أمر آخر كقوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴾

- "أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟": أي ألا ترى إلى ما وصل إلينا من الكرب والشدة؟
 "وَأِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي": يريد قوله ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ نوح: ٢٦، وفي حديث أنس رضي الله عنه أن نوحاً ذكر خطيئته وخطيئته أنه سئل ما ليس له به علم قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ نوح: ٤٧ .

- "وَذَكَرَ كَذِبَاتِهِ": وهي قوله في الكوكب ﴿هَذَا رَبِّي﴾ ومنها قوله لآلئهم: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ ومنها قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ومنها ماجاء في الحديث المتفق عليه أن إبراهيم عليه السلام قالعن زوجته سارة حين دخل أرض الجبار فسئل عنها قال "إنها أختي" أياختي في الإسلام ، قال القرطبي: "(وذكر كذباته) قد فسرها في الرواية الأخرى بما ليس كذباً في التحقيق..... وعلى الجملة فأوجه هذه الأمور واضحة" [المفهم ١/ ٤٣٢] أي ليست كذباً على الحقيقة وإنما تعريضاً ، قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: "وهي ليست كذباً لأنها توربية، لكن من شدة تعظيمه لله جعلها بمنزلة الكذبات" [التعليق على مسلم ١/ ٦٨٠] .

"إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِعِ الْجَنَّةِ": المصراعان بكسر الميم جانبا الباب

- "لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجْرٍ. أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى": الشك من الراوي في أي اللفظتين جاء ويحتمل أن يكون تنويحاً منه رضي الله عنه. [انظر المفهم ١/ ٤٣٩]

قال النووي رحمه الله: "هجر بفتح الهاء والجيم وهي مدينة عظيمة في بلاد البحرين... وهجر هذه غير هجر المذكورة في حديث "إذا بلغ الماء قلتين بقلال هجر تلك قرية من قرى المدينة... وأما بصرى فبضم الباء، وهي مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل، وهي مدينة حوران وبينها وبين مكة شهر" [شرح النووي لمسلم ٣/ ٦٤]

- "وَأَشْفَعُ تُشَفِّعُ": من الشفاعة أي اشفع تقبل شفاعتك.

"حَبَّةٌ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ": واحدة البر أو الشعير.

- "فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ": قال القرطبي رحمه الله: "تنبيه: في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن المحامد كانت بعد السجود، وفي حديث أنس قبل السجود في حالة القيام، وذلك يدل على أنه رضي الله عنه أكثر من التحميد والثناء في هذا المقام كله في قيامه وسجوده إلى أن أُسْعِفَ في طلبته" [المفهم ١/ ٤٣٦]

- "مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ": جاء في الحديث تفسير هذه اللفظة من قول قتادة رحمه الله كما في بعض الروايات قال: "أي وجب عليه الخلود" والمعنى أنه لم يبق إلا من أخبر القرآن أنه مخلد في النار وهم الكفار"

"جَنَّبَنِي الصِّرَاطَ": أي جانباه.

- "إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًّا" جثًّا جمع جاثٍ وهو الذي يجلس على ركبتيه. [انظر النهاية لابن الأثير مادة (جثا) ص (١٣٨)]

من فوائد الأحاديث:

- الفائدة الأولى: الأحاديث دليل على أن النبي ﷺ سيد البشر وأفضل المرسلين، لقوله ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" فإن قيل لماذا خص يوم القيامة بالسؤدد، ولم يذكر فضيلته وسؤدده في الدنيا؟
فالجواب: قال القاضي عياض رحمه الله: " وإنما خص يوم القيامة لارتفاع السؤدد فيها، وتسليم جميعهم له، ولكون آدم وجميع أبنائه تحت لوائه ﷺ، كما قال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ غافر: ١٦
أي انقطعت دعاوى الملك في ذلك اليوم والله أعلم " [شرح النووي لمسلم ٦٢/٣]
- الفائدة الثانية: الأحاديث دليل على إثبات الحشر يوم القيامة، لقوله "يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخريين في صعيد واحد" والحشر ثابت بالكتاب والسنة والإجماع:

- فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ الواقعة: ٤٩ - ٥٠ .

- ومن السنة: أحاديث الباب، وحديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال النبي ﷺ: " يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءٍ عَفْرَاءٍ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ " متفق عليه . [عفراء: هي بيضاء المائلة إلى حمرة، والنقي: هو الدقيق] وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة .

- حتى البهائم تحشر يوم القيامة

دل على ذلك الكتاب والسنة .

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ التكويد: ٥ ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٣٨ .

ومن السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: " لتؤدّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء " رواه مسلم . [والجلحاء هي التي لا قرن لها]

قال النووي: " هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادة يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من

الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة ... قال

العلماء : وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب ، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة ... " [انظر شرح النووي لمسلم المجلد (١٦) كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم] .

وأيضاً هو قصاص يبيّن مدى العدل التام في ذلك اليوم حتى بين البهائم وأنه كما قال الله تعالى : ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمِ﴾ .

- يحشر الناس عراة حفاة غرلاً .

لحديث عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : " يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً ، قالت : يا رسول الله ! الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض "

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ : " إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَضْوَالَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ، وأول من يكسى إبراهيم " متفق عليه .

حفاة: أي غير متعلين، عراة: أي ليس عليهم أثواب كما ولدتهم أمهاتهم، غرلاً: أي غير محتونين.

- وإذا الحشر الناس كان في ذلك الجمع - كما في حديث الباب - هم وغم وكرب ودنو للشمس من الناس مقدار ميل كما ثبت في صحيح مسلم من حديث سليم بن عامر عن المقداد مرفوعاً : " تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق ، حتى تكون منهم مقدار ميل " قال سليم بن عامر : فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض ، أم الميل الذي تُكحل به العين "

-الفائدة الثالثة: الأحاديث دليل على إثبات الشفاعة:

والكلام على الشفاعة من عدة وجوه:

أولاً: معنى الشفاعة

الشفاعة لغة : من الشفع ضد الوتر ، وهو ضم الشيء إلى مثيله .

واصطلاحاً : التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة .

ثانياً: للشفاعة من حيث ثبوتها نوعان:

١ - شفاعة شرعية (شفاعة مثبتة)

وهي الشفاعة المقبولة ، ويدخل تحتها أنواع سيأتي بيانها، وهذه الشفاعة لا بد فيها من توفر شرطين :

الأول : الإذن للشافع أن يشفع . والثاني : الرضا عن المشفوع له .

ويدل عليهما : قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ النجم: ٢٦ ، وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ البقرة: ٢٥٥ .
٢- شفاعة شركية (شفاعة منفية)

وهي الشفاعة للكافرين فهؤلاء لا تنفعهم شفاعة ، كما قال المصنف : " (ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين)
ويدل على ذلك : قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ المدثر: ٤٨ .

ثالثاً: أنواع الشفاعة الشرعية

١- الشفاعة العظمى

وهي شفاعة خاصة بالنبي ﷺ، وهي شفاعة يكون بها إراحة من هول الموقف كما دلَّ عليها حديث أبي هريرة وحديث أنس في الباب، ففي حديث أنس يقول الناس: " لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا" وفي حديث حديث أبي هريرة ﷺ قال النبي ﷺ: " فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ، وما لا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : أتتوا آدم ... الحديث، وفيه يأتون آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ، وكل واحد منهم يقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، وآخرهم عيسى ﷺ فيقول : " اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتوني فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنتقل فأتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله علي ، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : يارب أمي أمتي.... الحديث فيشفع ﷺ لأمته .

٢- شفاعته ﷺ بدخول أهل الجنة الجنة

دلَّ عليها حديث أنس ﷺ - وسيأتي قريباً- قال : قال النبي ﷺ: " أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً " وفي رواية : " فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك " رواه مسلم .

٣- شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب بأن يخفف عنه العذاب

وذلك لأن أبا طالب مات كافراً فلا يخرج من النار ولكن بشفاعة النبي ﷺ يخفف عنه من العذاب .

ويدل على ذلك : حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : " لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه " وفي رواية : " ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار " متفق عليه .

وهذه الأنواع الثلاثة السابقة خاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم .

٤- الشفاعة في خروج الموحدين من النار

دلَّ عليها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي قال صلى الله عليه وسلم : " يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرَّة من خير، ويخرج من النار مَنْ قال : لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير " متفق عليه، وكذا لفظ حديث أنس في الباب .

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه - وسيأتي قريباً - قال : قال رسول الله : " لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً " رواه مسلم .

وحديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي " رواه أحمد وأبو داود والترمذي والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

والخوارج والمعتزلة ينكرون هذا النوع من الشفاعة لأنه كما تقدم من مذهبهم أن صاحب الكبيرة يخرج من الإيمان فالسارق والزاني وغيرهما من أهل الكبائر عندهم خرجوا من الإيمان فلا تنفعهم الشفاعة ، وقولهم قول باطل مردود بالأدلة الكثيرة التي تخالف معتقدتهم .

٥- الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها

وهذه من أنواع الشفاعة التي يذكرها أهل العلم ، وقد يستدل لها بحديث ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعم الله فيه " رواه مسلم

٦- الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة

وهذه قد تكون بفضل ما جعله الله من دعاء المؤمنين بعضهم لبعض ، كما في حديث أم سلمة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سلمة حين توفي فقال صلى الله عليه وسلم : " اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وأفسح له في قبره ونور له فيه " رواه مسلم

وهذه الأنواع الثلاثة ليست خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، بل لسائر الأنبياء والصديقين والمؤمنين

٧- شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوم من أمته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب

كشفاعة النبي ﷺ لعكاشة بن محصن أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، كما جاء في حديث ابن عباس ؓ في الصحيحين .

- ومن أهل العلم من يزيد نوعاً ثامناً وهي الشفاعة فيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم أهل الأعراف .
وكما ذكر المصنف وتقدم بيانه أن هناك من الشفاعة من يشفع فيها الأنبياء والمؤمنون والشهداء والصالحون والملائكة على قدر مراتبهم ومقاماتهم عند ربه ، فالشهيد مثلاً يشفع في سبعين من أهل بيته كما ورد عند أبي داود وابن حبان .

رابعاً: من الأعمال التي ينال بها المسلم الشفاعة ما يلي :-

١- قول " لا إله إلا الله " خالصة من القلب

لحديث أبي هريرة ؓ قال : قلت : يا رسول الله مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : " لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ لَمَا رَأَيْتَ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ ، أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ " رواه البخاري .

٢- قول الذكر الوارد بعد الأذان

وهو ما جاء في حديث جابر ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : " مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتٍ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ " رواه البخاري .

٣- الصبر على شدة المدينة ولأوائها

لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال " لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شافعاً يوم القيامة أو شهيداً " رواه مسلم ، والمقصود بـ (لأوائها) أي شدتها وضيق العيش فيها .

٤- الموت في المدينة

لحديث ابن عمر ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلِيَمَّتْ بِهَا فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا " رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني .

فائدة : هناك من الأعمال ما تمنع العبد أن يكون شافعاً لأحد يوم القيامة ومن ذلك من يكثر اللعن فقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء ؓ أن النبي ﷺ قال : " لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شَفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " قال النووي : " وأما قوله ﷺ : إنهم لا يكونون شفعاء ولا شهداء ، فمعناه لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار ، ولا شهداء ، فيه ثلاثة أقوال : أصحها وأشهرها لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات ، والثاني : لا يكونون

شهداء في الدنيا أي لا تقبل شهادتهم لفسقهم ، والثالث : لا يرزقون الشهادة وهي القتل في سبيل الله " [انظر شرح مسلم للنووي المجلد (١٦) كتاب البر والصلة ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها]
-الفائدة الرابعة: في الأحاديث بيان بعض فضائل وخصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذكر اعتذارهم وفي ذلك فوائد منه مايلي:

أولاً: آدم عليه السلام:

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول الناس: " يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ . خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ "

اختلف في سبب اختيار هؤلاء الأنبياء في الاستشفاع دون غيرهم، وتأهلهم لهذا المقام العظيم، وكان الاستشفاع بآدم عليه السلام أولاً لكونه أبو البشر، وتوجه الإنسان لأبيه في الشدائد أمر طبيعي، وأما بقية الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد فالأنهم والله أعلم أولوا العزم من الرسل ، وأولوا العزم أفضل الرسل، وقيل اختصوا بهذا لأنهم أصحاب رسالات أرسلوا لأقوامهم.
فإن قيل ما الحكمة من إلهام الناس أن يسألوا أولاً: آدم ومن بعده من الرسل، ولم يسألوا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من أول مرة.

فالجواب: قال النووي رحمه الله: " هي والله أعلم إظهار فضيلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهم لو سألوه ابتداءً لكان يحتمل أن غيره يقدر على هذا ويحصله، وأما إذا سألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه فامتنعوا، ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم فهو النهاية في ارتفاع المنزلة وكمال القرب وعظيم الإدلال والأنس " [شرح النووي لمسلم ٥٤/٣].

قوله في آدم " خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ " قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله : " خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، والعلم عند الله، أما بقية الخلائق فخلقوا بالكلمة: كن فيكون.

وقوله " وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ " ليس المراد أن الله نفخ فيه من روحه هو نفسه، وذلك لأن هذه الروح مخلوقة، وصفات الله عز وتعالى غير مخلوقة، لكن هذا من باب إضافة الشيء إلى الله عز وجل تكريماً وتشريفاً كما في

قوله تعالى: ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ ﴾ [سورة الحج: ٢٦] ، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ

مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ سورة البقرة: ١١٤ ، وكقوله تعالى: ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾

الشمس: ١٣، فهي روح مخلوقة أضيفت إلى الله من باب التشريف والتكريم " [التعليق على مسلم ٦٧٢/١]

النهاية في ارتفاع المنزلة وكمال القرب وعظيم الإدلال والأنس " [شرح النووي لمسلم ٥٤/٣]

ذكر آدم ﷺ اعتذار بمعصية وهي الأكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة الأعراف: ١٩، لكن آدم وحواء أكلا منها بعد وسوسة الشيطان لهما فاعتذر آدم بهذه المعصية عن الشفاعة

ثانياً: نوح عليه السلام

أول رسول بدلالة الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ سورة النساء: ١٦٣، ومن السنة حديث أبي هريرة ؓ في الباب " يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ. وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا. " أما آدم عليه السلام فهو أول نبي ولم يرسل إلى قوم. نوح عليه السلام اعتذر للناس بقوله " وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي " ودعوته قوله ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ ، وفي حديث أنس ؓ " فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها " وخطيئته أنه سأل الله ما ليس له به علم قال ﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾ وتقدم بيان ذلك.

- سمي الله نوحاً ﴿ عبداً شكوراً ﴾ في قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [سورة الإسراء: ٣]، قال ابن عباس: " ومعنى كون نوح عبداً أنه معترف لله بالعبودية غير متكبر بالإشراك، وكونه شكوراً أي بامتثال أوامره، وروي أنه كان يكثر حمد الله، والافتداء بصالح الآباء مجبولة عليه النفوس ومحل تنافس الأمم بحيث يعد خلاف ذلك كمثير للشك في صحة الأنساب " [التحرير والتنوير ٢٧/١٥]

ثالثاً: إبراهيم عليه السلام

ففي حديث أبي هريرة ؓ يقول للناس: " أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ " - للمحبة درجات أعلاها وأخصها درجة الخلقة، وإبراهيم عليه السلام اتخذ الله خليلاً قال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [سورة النساء: ١٢٥]، وذلك لأنه أراد ذبح ابنه الذي هو أحب البشر إليه من أجل أن ينال رضا الله ومحبه فأثابه الله بدرجة الخلقة، والله تعالى هكذا يفعل بعباده يجازيهم بأحسن مما عملوا ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه "

- ولقد نال مرتبة الخلقة مع إبراهيم عليه السلام نبينا محمد ﷺ، ففي صحيح مسلم من حديث جندب

رضي الله عنه قال النبي ﷺ: " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا "

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: " وبه نعرف أن وصفنا لرسول الله ﷺ بخليل الله أبلى من وصفنا إياه بحبيب

الله؛ المحبة أدنى من الخلقة " [التعليق على مسلم ٦٧٩/١]

-تقدم في شرح الألفاظ الكلام على قوله " وَذَكَرَ كَذِبَاتِهِ " وأنها ليست بكذب صريح وإنما هي من معارضض الكلام، ولكن أطلق عليها كذبات لشدة تعظيمه لله تعالى أنزلها منزلة الكذب الصريح.

رابعاً: موسى عليه السلام

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول الناس: " فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. فَضَلَّكَ اللَّهُ، بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ، عَلَى النَّاسِ "

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: " وليس معنى تكليم الله تعالى له اختصاصه بذلك: أي أن الله لم يكلم أحداً غيره، بل كلم الله تعالى غيره ممن هو أعلى منه وأقل منه، فقد كلم الله آدم عليه الصلاة والسلام، وكلم الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم، وليس اختصاص موسى عليه السلام بالكلام والله أعلم أنه أوحى إليه بالكلام مباشرة، ولكن لأن الرسل الذين أرسلهم الله تعالى سوى موسى أول ما أرسلهم كان عن طريق جبريل عليه السلام، بينما اختص موسى عليه السلام بكون إعلامه بالرسالة بكلام الرب جل وعلا" [التعليق على مسلم

[٦٨١/١]

- قول موسى عليه السلام في اعتذاره " وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا " المراد به قتله القبطي الذي رآه مع الإسرائيلي حين إستغاثه الإسرائيلي فوكر موسى عليه السلام القبطي مرة واحدة فقتل عليه؛ لأن موسى عليه السلام كان قوياً. قال تعالى: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِن عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ سورة القصص: ١٥

- قوله " فَضَلَّكَ اللَّهُ، بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ، عَلَى النَّاسِ " إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ سورة العراف: ١٤٤

خامساً: عيسى عليه السلام

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول الناس " يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ "

قوله " وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ " أي صغيراً في الحال التي يُمهَّد فيها، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٢٩]

قوله " وَكَلِمَةٌ مِنْهُ " قال القرطبي رحمه الله: " قال ابن عباس رضي الله عنه: سماه كلمة؛ لأنه كان بكلمة " كن " من غير أن يتقلب في أطوار الخلق كما يتقلب غيره" [المفهم ٤٣٤/١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولكن المعنى من قول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ﴾ [سورة النساء: ١٧١]، فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له كن فكان عيسى عليه السلام بكن" [درء تعارض العقل والنقل ٩/٤]

- قوله "وَرُوْحٌ مِنْهُ" اختلف في معناها على أقوال أشهرها قولان:

قيل: لأنه سبحانه وتعالى خلق فيه الروح من غير واسطة أب.

قيل: لأنه روح مخلوقة من عند الله تعالى كسائر الأرواح، والأظهر القول الأول لأنه الأوفق في كونها خصيصة لعيسى عليه السلام.

- عيسى عليه السلام اعتذر عن الشفاعة كما اعتذر الأنبياء قبله لكنه لم يذكر ذنباً، وإنما أحال الناس على محمد صلى الله عليه وآله وأحقيقته عليهم ولو لم يكن عند الأنبياء ما يعتذر به، فالنبي صلى الله عليه وآله أحقهم بالشفاعة وهي من خصوصياته بخلاف أنواع الشفاعة الأخرى فقد يشترك فيها معه غيره.

سادساً: محمد صلى الله عليه وآله

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول الناس: "يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ. وَعَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ"

دل الكتاب والسنة على أنه صلى الله عليه وآله خاتم النبيين، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ سورة الأحزاب: ٤٠

قوله " وَعَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ " إشارة لقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ سورة الفتح: ٢٠، وهل يقع من الأنبياء ذنب أم لهم عصمة من الذنوب؟

قال القرطبي رحمه الله: "اختلف الناس في عصمة الأنبياء اختلافاً كثيراً، والذي ينبغي أن يقال: إن الأنبياء معصومون مما يناقض مدلول المعجزة عقلاً، كالكفر بالله تعالى، والكذب عليه، والتحريف في التبليغ، والخطأ فيه، ومعصومون من الكبائر، وعن الصغائر التي تزري بفاعلها، وتحط منزلته، وتسقط مروءته إجماعاً... واختلف أئمتنا في وقوع الصغائر منهم، فمن قائل: بالوقوع، ومن قائل: يمنع ذلك، والقول الوسط في ذلك: أن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم، ونسبها إليهم، وعاتبهم عليها، وأخبروا بها عن نفوسهم، وتصلوا منها، واستغفروا، وتابوا، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا تقبل التأويلات بجملتها، وإن قبل ذلك أحادها، لكن ينبغي أن يقال: إن الذي أضيف إليهم من الذنوب ليس من قبيل الكبائر، ولا مما يزري بمناصبهم على ما تقدم، ولا أكثر منهم وقوع ذلك" [المفهم (١/٤٣٤-٤٣٥)]

وقال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ سورة الشرح: ٢ فإن قال قائل: هذه الآية وما سقناه شاهداً لها يدل على أن الرسول ﷺ قد يذنب، فهل النبي ﷺ يذنب؟ فالجواب: نعم، ولا يمكن أن نردّ النصوص مجرد أن نستبعد وقوع الذنب منه ﷺ ونحن لا نقول الشأن ألا يذنب الإنسان، بل الشأن أن يغفر للإنسان، هذا هو المهم أن يغفر له، أما ألا يقع منه الذنب فقد قال النبي ﷺ: "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" لا بد من خطيئة لكن هناك أشياء لا يمكن أن تقع من الأنبياء مثل الكذب والخيانة، فإن هذا لا يمكن أن يقع منهم إطلاقاً، لأن هذا لو فرض وقوعه لكان طعناً في رسالتهم وهذا شيء مستحيل، وسفاسف الأخلاق من الزنا وشبهه هذا أيضاً ممتنع لأنه ينافي أصل الرسالة، فالرسالة إنما وجدت لتتميم مكارم الأخلاق" [انظر تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين طبعة دار النجاح المصرية (٤٧٣/١٠)]

- وفي الحديث من الفوائد التي تؤخذ مما جرى بين الناس والأنبياء: شدة هول الموقف وبلوغ الهم والكرب مبلغه من الناس ودنو الشمس حتى يجثو الناس على ركبهم وأيديهم ولذا جاءت تسميته في القرآن بيوم الفرار ويوم التغابن ويوم الفصل ويوم الوعيد ويوم عقيم لأنه لا يوم بعده، وفيه ما عليه الأنبياء من الخوف من معصية الله تعالى فكلهم يقول " إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا. نَفْسِي " وفيه ما كان عليه الأنبياء من الإيمان والتقوى بتذكر ما وقع من ذنب مع ما غفر لهم إلا أنهم رأوا أنهم يستحون بسببها أن يقدموا على الشفاعة، وفيه ما كان عليه الأنبياء من التواضع والاعتراف بالفضل لغيرهم فكل واحد يحيل على من بعده ويذكر ماله من الفضل والخصوصية، وفيه دلالتهم للناس على مكان الخير بإحالتهم إلى من عنده الشفاعة وفيه حسن التقديم للمسئول بأحسن صفاته ثم سؤاله وهذا ما فعله الناس مع كل نبي، وفيه تقديم ذوي الأسنان والآباء على الأبناء في الأمور التي لها بال فقد بدأوا بأبيهم آدم عليه السلام، وفيه أن المسئول إذا لم يستطع على تحصيل ما سئل ينبغي أن يعتذر بما يقبل منه، وفيه تفضيل النبي ﷺ على جميع المخلوقين، وفيه مشروعية التحدث بنعمة الله تعالى لقول النبي ﷺ "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، وفيه حسن التعليم بالاستفهام لشدة الانتباه لقوله ﷺ "وَهَلْ تَذُرُونَ بِيَمَ ذَاكَ؟"، وفيه احتمال ذهول الناس عما علموه في الدنيا، لأن في السائلين من سمع هذا الحديث في الدنيا ومع ذلك لم يستحضر أحد منهم خصوصية النبي ﷺ بهذه الشفاعة وهذا المقام المحمود الذي وعده النبي ﷺ واختص به كما وقع في رواية البخاري، إذ لو استحضروا لسئلوا النبي ﷺ من أول وهلة دون الرجوع إلى من قبله من الأنبياء، وفيه فضيلة السجود حيث انطلق النبي ﷺ فخر ساجداً لله تعالى، وفيه الثناء على الله تعالى قبل الدعاء وهذا ما فعله النبي ﷺ حيث أتى على الله تعالى قبل السجود حال قيامه وبعد السجود وكثرة

الثناء من حسن الطلب، وفيه أن الله تعالى يكرم عباده بفتح من عنده حيث فتح على نبينا ﷺ بحسن الحمد والثناء والإكثار فيه ما لم يكن يعرفه من قبل، وفتح الله تعالى على العبد غير محدود فهو الكريم، وهو الفتح العليم، إذا علم من عبد حسن لجئ إليه فتح عليه بما أحب العبد من العبادة ومن العلم كما فتح على الأئمة والزهاد وفتح عليه من الأرزاق ونحوها مما يرجوه العبد ويطلبه، وفيه إثبات العرش، وعرش الرحمن مخلوق عظيم له قوائم تحمله الملائكة، وهو أعظم المخلوقات فهو سقف العالم لأنه محيط بالمخلوقات خلقه الله عز وجل ثم استوى عليه، ولم يبين الله تعالى مما خلق هذا العرش ولا دليل صحيح عن النبي ﷺ يبين فالله أعلم به، وفيه عظمة الله تعالى وكرمه على عباده، وفيه فضل من يدخل الجنة بلا حساب، وفيه إثبات الجنة والنار والإيمان بهما، وعظم أبواب الجنة وسعتها، وفيه حب النبي ﷺ للذراع حيث رفعت له لأنها تعجبه وفي هذا أن العجب يطلق ويراد به المحبة ومنه قول عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ "كان يعجبه التيامن في تنعله وترجله" متفق عليه أي يحب التيامن في التنعل والترجل، وفيه عظمة الله تعالى وسعة كرمه بإخراج من كان في قلبه إيمان ولو قل حتى يخرج من قال " لا إله إلا الله " ولا يبقى إلا من وجب عليه الخلود، وهم الكفار، وفي هذا ردّ على الخوارج القائلين بتخليد صاحب الكبيرة في النار، والله أعلم.

- **الفائدة الخامسة:** في الأحاديث إثبات عدة صفات لله تعالى كصفة الكلام، وصفة اليد لقوله " يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ . خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ " وتقدم الكلام بالتفصيل في الأحاديث القريبة التي سبقت عن هاتين الصفتين، وأهل السنة والجماعة يشبّون صفة الكلام وصفة اليد لله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وفي الأحاديث إثبات صفة الغضب لله تعالى، لقول الأنبياء " إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله " وأهل السنة والجماعة يشبّون صفة الغضب لله تعالى إثباتاً يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وهي من الصفات الفعلية فمتى شاء سبحانه غضب، وهذه الصفات ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع

- من الكتاب : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ للمتحنة: ١٣ .

- ومن السنة : حديث الباب، وحديث أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال : " لما خلق الله الخلق ، كتب في

كتاب فهو عنده فوق العرش : " إن رحمتي تغلب غضبي " متفق عليه

- وأجمع السلف رحمهم الله على إثبات صفة الغضب لله تعالى كما يليق به سبحانه .

- المخالفون لأهل السنة

المخالفون لأهل السنة والجماعة من المعطلة كالأشاعرة وغيرهم يؤولون صفة الغضب بالانتقام.

والرد عليهم :

- ١- أن هذا مخالف لطريقة السلف رحمهم الله .
 - ٢- أنه مخالف لظاهر النصوص الدالة على هذه الصفات ، ولا دليل على هذا التأويل .
 - ٣- أنكم بتأويلكم هذا لم تفرقوا بين الصفة وثمرتها ونتيجتها ، فالغضب نتيجته الانتقام، وتأويلكم هذا جعل النتائج هي الصفات، ولاشك أن هناك فرقاً بينهما .
 - ٤- أن الله ﷻ فرّق بين صفة الغضب والانتقام ، فقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اِنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ ءاسفونا أي أغضبونا ، ومن هذه الآية ثبت صفة الغضب وصفة الانتقام لله تعالى كما يليق به سبحانه .
فائدة : قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اِنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ قوله (ءاسفونا) أخذ منه صفة (الأسف) لله تعالى التي هي الغضب ، فالأسف في هذا الآية هو الغضب كما نقل ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد وقتادة و السدي .
- والأسف في اللغة على معنيين :** يأتي بمعنى شدة الحزن ، ويأتي بمعنى شدة الغضب والمعنى الثاني هو المراد في الآية وهو الذي نثبتته لله تعالى بخلاف الأول فهو ممتنع بالنسبة لله تعالى .
- [انظر تهذيب اللغة (٩٦/١٣) وانظر شرح الواسطية للهراس ص (١١١)]
- قال ابن القيم : " إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة والرضا والفرح والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال " [انظر الصواعق المرسلة (١٤٥١/٤)]
- الفائدة السادسة:** في حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما إثبات الصراط وتقدم الكلام على الصراط بالتفصيل قبل حديثين وفيه مرور الناس بحسب أعمالهم الصالحة .
- الفائدة السابعة:** في حديث أبي هريرة وحذيفة دلالة على عظم منزلة صلة الرحم والأمانة وإرسالهما على جانبي الصراط يميناً وشمالاً لإحقاق الحق فيهما .
- قال النووي رحمه الله: " وأما إرسال الأمانة والرحم فهو لعظم أمرهما وكثير موقعهما، فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريد الله تعالى، قال صاحب التحرير: في الكلام اختصار، لفهم السامع له، أي أنهما تقومان لتطالب الكل من يريد الجواز بحقهما" [شرح النووي لمسلم (٦٧/٣)]
- ولصة الرحم فضائل عديدة وردت في نصوص ستأتي في مظانها وسنبسط مباحثها هناك ومن تلك النصوص حديث عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: " الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعته الله " متفق عليه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال نعم: أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك" ثم قال رسول الله ﷺ: "إقرأوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴾" متفق عليه وللبخاري قال الله تعالى: "من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته"

وعن أنس رضي الله عنه: "من أحب" وفي رواية للبخاري: "من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه" متفق عليه.

وللأمانة فضائل ومباحث ووعيد تقدم ذكرها في شرح حديث حذيفة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: "إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال" وتقدم الكلام على معناها وأهميتها ومجالاتها وعواقب تضييعها وبيان أن ذهابها من علامات الساعة في مباحث يحسن الرجوع إليها، والله أعلم.

باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء

تبعاً

١٤٧ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ. وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا». رواه مسلم .

١٤٨ - وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَأَسْتَفْتَحُ. فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». رواه مسلم .

ترجمة راوي الحديثين:

أنس بن مالك رضي الله عنه، تقدمت ترجمته في الحديث الثالث من كتاب الإيمان.

تخريج الحديثين:

الحديثان رواهما مسلم حديث " ١٩٦"، " ١٩٧" وانفرد بهما عن البخاري.

شرح ألفاظ الحديثين:

" وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا " : جمع تابع أي أكثرهم أتباعاً يوم القيامة، لأن أمة محمد ﷺ ثلثا أهل الجنة.
" فَأَسْتَفْتِحُ " : أي أطلب فتح باب الجنة بطرقه وقرعه كما في رواية مسلم الأخرى " أنا أول من يقرع باب الجنة "

من فوائد الحديثين:

-الفائدة الأولى: قول النبي ﷺ: " أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ " فيه دلالة على فضيلة النبي ﷺ بهذه الأولية واحتلف في المقصود بهذه الشفاعة:-

فقيل: أول شافع للناس في دخول الجنة.

وقيل: أول شافع في الجنة لرفع درجات الناس فيها. والقول الأول أرجح ويشهد له حديث أنس رضي الله عنه الذي يليه " آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَأَسْتَفْتِحُ. فَيَقُولُ الْحَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ " واختاره القرطبي [انظر المفهم (١/٤٥٣)]، وشفاعته ﷺ للناس بدخول الجنة هي إحدى الشفاعات الخاصة - وتقدم بيانها - وهي ثلاث شفاعات:

الأولى: الشفاعة العظمى وتقدمت أحاديثها والكلام عليها.

الثانية: شفاعته بدخول أهل الجنة الجنة كما في حديثي الباب.

الثالثة: شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب وسيأتي قريباً الكلام عليه.

أما غيرها من الشفاعات كالشفاعة في خروج الموحدين من النار والشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها، والشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة فهي شفاعات ليست خاصة بالنبي ﷺ بل لسائر الأنبياء والصديقين والمؤمنين.

-الفائدة الثانية: الحديثان يدلان على أن أول من يدخل الجنة هو محمد ﷺ، وأول من يدخلها من الأمم أمته ﷺ ويشهد لذلك قول النبي ﷺ: " نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة " متفق عليه وفي هذا دليل على فضل هذه الأمة.

-الفائدة الثالثة: قوله ﷺ: " أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا " فيه دلالة على كثرة أتباع نبينا محمد ﷺ على جميع الأنبياء، وكثرة الأتباع يوم القيامة توجب أفضلية المتبوع.

-الفائدة الرابعة: قوله ﷺ " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ " فيه إثبات الجنة، وأن لها أبواباً، وقد دلّ الكتاب على ذلك كما دلت السنة، قال تعالى: ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ سورة الرعد: ٢٣ ، وسيأتي في كتاب الزكاة حديث " من أنفق زوجين في سبيل الله " وفيه عدد أبواب الجنة وأسمائها.

-الفائدة الخامسة: قوله: " فَأَسْتَفْتِحُ " دليل على أن أبواب الجنة مغلقة.

قال ابن القيم رحمه الله: " وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه، فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه " [حادي الأرواح (١ / ٥٢)]
وأخبر النبي ﷺ أن أبوابها تفتح في رمضان وفي يوم الإثنين والخميس، ففي الصحيحين قال النبي ﷺ: " إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة... " وفي صحيح مسلم قال النبي ﷺ: " تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس "

-الفائدة السادسة: قوله ﷺ " فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ؟ " فيه دلالة على أن للجنة من الملائكة خازناً، وفيه دلالة على أن الملائكة لا تعلم الغيب، وفيه دلالة على أن من أدب المستأذن إذا قيل له من أنت؟ أن يذكر اسمه.

باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأُمَّته

١٤٩ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا. فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ولمسلم في رواية: « فَهِيَ نَائِلَةٌ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا ». وبنحو هذا الحديث في الصحيحين عن أنس ، ولمسلم بنحوه عن جابر بن عبد الله .

ترجمة راوي الحديث:

أبو هريرة ، تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم حديث " ١٩٨ "، وأخرجه البخاري في " كتاب الدعوات " " باب لكل نبي دعوة مستجابة " حديث " ٦٣٠٤ "، وأخرجه الترمذي في " كتاب الدعوات " " باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله " حديث " ٣٦٠٢ "، وأخرجه ابن ماجه في " كتاب الزهد " " باب ذكر الشفاعة " حديث " ٤٣٠٧ "

وأما حديث أنس رضي الله عنه فأخرجه مسلم حديث " ٢٠٠ "، وأخرجه البخاري في الكتاب والباب نفسه حديث " ٦٣٠٥ "،

وأما حديث جابر رضي الله عنه فأخرجه مسلم حديث " ٢٠١ " وانفرد به عن البخاري.

شرح ألفاظ الحديث:

- " مستجابة ": أي مجابة والسين زائدة.

- " نَائِلَةٌ ": من نال الشيء إذا ظفر به وحصل عليه.

- " إِنْ شَاءَ اللَّهُ ": دخول الاستثناء هنا كدخوله في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَأَمِينِينَ﴾

قال النووي رحمه الله: " قوله رضي الله عنه " إِنْ شَاءَ اللَّهُ " هو على جهة التبرك والامتنان؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ سورة الكهف: ٢٣ " [شرح مسلم (٣/٧٠)]

من فوائد الحديث:

-الفائدة الأولى: في الحديث دلالة على فضل الله تعالى على الأنبياء بإجابة الدعاء، لدعوة يدعوها

فإن قيل: أليس الأنبياء مجابي الدعوة، وقد أجيبت كثير من دعواتهم لاسيما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؟

فالجواب: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " وقد استشكل ظاهر الحديث بما وقع لكثير من الأنبياء من

الدعوات المجابة، ولاسيما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وظهره أن لكل نبي دعوة مستجابة فقط:

والجواب: أن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها، وما عدا ذلك من دعواتهم فهو على رجاء الإجابة.

وقيل: معنى قوله صلى الله عليه وسلم " لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ " أي أفضل دعواته، ولهم دعوات أخرى.

وقيل: لكل منهم دعوة عامة مستجابة في أمته إما بإهلاكهم، وإما بنجاتهم، وأما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها مالا يستجاب.

وقيل: لكل منهم دعوة تخصه لدنيا أو لنفسه كقول نوح عليه السلام ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ سورة نوح: ٢٦، وقول زكريا ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ سورة مريم: ٥، وقول سليمان ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ سورة ص: ٣٥

والأولى أن يقال إن الله جعل لكل نبي دعوة تستجاب في حق أمته، فإلها كل منهم في الدنيا، وأما نبينا ﷺ فإنه لما دعا على بعض أمته نزل عليه ﷺ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ سورة آل عمران: ١٢٨، فبقيت تلك الدعوة المستجابة مدخرة للأخرة، وغالب من دعا عليهم لم يرد إهلاكهم وإنما أراد ردعهم ليتوبوا " [الفتح (٢٢/٢٧٧)]

-الفائدة الثانية: في الحديث بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته، ورأفته بهم، واعتناؤه بالنظر في مصالحهم المهمة، فأخّر ﷺ دعوته لأمرته إلى أهم أوقات حاجتهم. [قاله النووي في شرحه لمسلم (٣/٧٠)]

-الفائدة الثالثة: الحديث دليل على إثبات الشفاعة وتقدم قريباً الكلام عليها... وفيه إثبات الشفاعة لأهل الكبائر من هذه الأمة.

-الفائدة الرابعة: الحديث ردّ على الخوارج الذين ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر لقول النبي ﷺ: "فَهِيَ نَائِلَةٌ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا" وفي هذا فضيلة التوحيد وأن صاحبها لا يخلد في النار ولو كان مصرّاً على الكبائر.

باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمرته وبكائه شفقة عليهم

١٥٠- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي} وَقَالَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَى. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلُهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَأَلَهُ. فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِمَا قَالَ. وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوذُكَ. رواه مسلم.

ترجمة راوي الحديث:

عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، تقدمت ترجمته في الحديث الثالث والعشرين من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أخرجه مسلم حديث "٢٠٢"، وانفرد به عن البخاري.

شرح ألفاظ الحديث:

- " تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: " تَلَا أَي قَرَأَ " فِي إِبْرَاهِيمَ " بتقدير محذوف أي في سورة إبراهيم أو في مقالة إبراهيم.

- ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ سورة إبراهيم: ٣٥: الضمير يرجع إلى الأصنام المذكورة في قوله تعالى ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾

- ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾: أي من تبع دعوتي فإنه من أمتي.

- ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ﴾: قيل: جواب الشرط محذوف، والتقدير: إن تعذبهم فإنهم يستحقون ذلك؛ لأنهم عبادك وعبدوا غيرك.

"اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي": أي اللهم ارحم وارفق بأمتي.

- "فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِمَا قَالَ. وَهُوَ أَعْلَمُ. فَقَالَ اللَّهُ": في الكلام حذف، وأصله: فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، فأخبر جبريل ربه - وهو أعلم به فقال الله ...

- "وَلَا نَسُوْكَ": قال النووي رحمه الله: وأما قوله تعالى "وَلَا نَسُوْكَ" فقال صاحب التحرير: هو تأكيد للمعنى أي لا نخذلك، لأن الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم، ويدخل الباقي النار، فقال تعالى: "نرضيك ولا ندخل عليك حزناً بل ننحي الجميع" والله أعلم " [شرح النووي (٧٤/٣)]

من فوائد الحديث:

-الفائدة الأولى: في الحديث كمال شفقة النبي ﷺ على أمته واعتناؤه واهتمامه بأمرهم حتى بكى ﷺ بعدما تلا طلب أخويه إبراهيم وعيسى عليهما السلام لأقوامهما قام داعياً رافعاً يديه باكياً ملحاً بطلب المغفرة لقومه قائلاً "اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي"

-الفائدة الثانية: في الحديث دلالة على استحباب رفع اليدين عند الدعاء.

-الفائدة الثالثة: في الحديث البشارة العظيمة لهذه الأمة من الله تعالى بقوله جل وعلا: "إِنَّا سَتْرُضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ" وتقدم معنى قوله "وَلَا نَسُوءُكَ" وأن فيها زيادة تأكيد بعدم إدخال الحزن بتمام الإرضاء، وهذا الوعد موافق لقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ سورة: الضحى: هـ " كما ذكر ذلك النووي رحمه الله [المرجع السابق] .

-الفائدة الرابعة: في الحديث بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى، وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ حيث أرسل إليه جبريل عليه السلام - والله تعالى أعلم - لينظر ما الذي يبكي محمد ﷺ، والحكمة من إرسال جبريل عليه السلام مع علمه جل وعلا الذي وسع كل شيء علماً بما يبكي محمد ﷺ هو إظهار شرف محمد ﷺ وأنه بالحل الأعلى فيسترضى ويكرم بما يرضى " [انظر شرح النووي لمسلم المرجع السابق]

-الفائدة الخامسة: في دعاء عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ سورة المائدة: ١١٥ لفتتان:

الأولى: بيان الأدب مع الله تعالى في الدعاء، والثانية إشكال وسيأتي:

قال ابن القيم رحمه الله: "﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ هذا من أبلغ الأدب مع الله في مثل هذا المقام، أي شأن السيد رحمة العبيد والإحسان إليهم، وهؤلاء عبيدك ليسوا عبيداً لغيرك، فإن عذبتهم - مع كونهم عبيدك - فلولا أنهم عبيد سوء من أنجس العبيد، وأعتاهم على سيدهم وأعضاهم له لم تعذبهم، لأن قرينة العبودية تستدعي إحسان السيد إلى عبده ورحمته، فلماذا يُعذَّب أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، وأعظم المحسنين إحساناً عبيده؟ لولا فرط عتوهم وإباؤهم عن طاعته، وكمال استحقاقهم للعذاب" [مدارج السالكين (٢/٣٥٨)]

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: " وفي قوله تعالى ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيه إشكال حيث قال ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ولم يقل " فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " مع أن ظاهر السياق يقتضي ذلك!

والجواب عن هذا أن يقال: إن الآية فيها جمع بين العذاب والمغفرة ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ولم تتمحض المغفرة، فلماذا جاء ذكر العزة والحكمة التي فيها القدرة على أخذ المكذبين، والحكمة في التجاوز على الذي يقتضي الحكمة أن يغفر الله لهم " [التعليق على مسلم (١/٧١٥)]

باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين

١٥١- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «فِي النَّارِ» فَلَمَّا قَفَى دَعَاهُ فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ». رواه مسلم .

ترجمة راوي الحديث:

أنس بن مالك رضي الله عنه، تقدمت ترجمته في الحديث الثالث من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث " ٢٠٣ "، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه أبو داود " كتاب السنة " باب في ذراري المشركين " حديث " ٤٧١٨ "

شرح ألفاظ الحديث:

- " أَيْنَ أَبِي؟ ": أي أين سيصير أبي الجنة أو في النار؟
- " فَلَمَّا قَفَى ": أي ولى منصرفاً.

من فوائد الحديث:

-الفائدة الأولى: الحديث دليل على أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا ينفعه شفاعة المقربين.

-الفائدة الثانية: الحديث دليل على أن والد النبي صلى الله عليه وسلم في النار.

فإن قيل: أليس أبو النبي صلى الله عليه وسلم ومن مات قبل البعثة من أهل الفترة الذين لم تبلغهم الرسالة؟

فالجواب: معلوم أن لأهل العلم أقوال في حكم أهل الفترة في الآخرة.

فقيل: هم في النار، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٤٨

وقيل: هم معذورون، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء: ١٥

وقيل: إنهم يمتحنون يوم القيامة، فإن أجابوا ففي الجنة، وإن لم يجيبوا فهم في النار، لحديث الأسود بن سريع عن النبي ﷺ أنه قال: "أربعة يمتحنون يوم القيامة... (وذكر منهم) رجل مات في فترة... فيقول ربي ما أتاني لك رسول، فيأخذ موثيقهم ليطنعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ، فوالذي نفس محمد ﷺ لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً"

وهذا القول هو الراجح والله أعلم واختاره الشيخ ابن باز رحمه الله قال: " الصحيح من أقوال العلماء أن أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة، ويؤمنون فإن أجابوا وأطاعوا دخلوا الجنة، وإن عصوا دخلوا النار وجاء في هذا عدة أحاديث عن أبي هريرة ؓ وعن الأسود بن سريع التميمي، وعن جماعة كلها تدل على أنهم يمتحنون يوم القيامة، ويخرج لهم عنق من النار، ويؤمنون بالدخول فيه، فمن أجاب صار عليه برداً وسلاماً، ومن أبي التف عليه وأخذه وصار إلى النار، نعوذ بالله من ذلك" [فتاوى نور على الدرب الجزء الأول]
وأما أبو النبي ﷺ فقد دل حديث الباب أنه في النار مع أنه من أهل الفترة، وأجاب العلماء على هذا الإشكال بعدة أجوبة:

قيل: لأن الله تعالى علم أن والد النبي ﷺ ممن لن يجيب في امتحان يوم القيامة فأوحى ذلك لنبيه ﷺ واختار هذا القول ابن كثير رحمه الله حيث قال: " وإخباره ﷺ عن أبويه وجدته عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين، والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة، كما بسطناه سنداً ومتناً في تفسيرنا عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء: ١٥، فيكون منهم من يجيب، ومنهم من لا يجيب، فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب فلا منافاة والله الحمد والمنة" [البداية والنهاية (٢/٢٨١)]

وقيل: المراد بالأب في حديث الباب عمه أبو طالب، وقد أدرك البعثة ومات على الكفر، والعرب تطلق الأب على العم، وهذا القول ضعيف وبعيد لأن فيه صرف المعنى عن ظاهره.

وقيل: لأن والد النبي ﷺ ممن بلغهم بقايا دين إبراهيم عليه السلام، ومع ذلك مات على غير التوحيد فلا يعذر حينئذ فكان من أهل النار، واختاره النووي رحمه الله وابن باز رحمهما الله تعالى.

قال النووي رحمه الله: " وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذه قبول بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت قد بلغت دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم " [شرح النووي لمسلم (٣/٧٤)]

قال ابن باز رحمه الله: " واجتمع العلماء بهذا على أن أبا النبي ﷺ كان ممن بلغته الدعوة وقامت عليه الحجة فلهذا قال ﷺ " في النار" ولو أنه كان من أهل الفترة لم يقل له النبي ﷺ هذا الكلام في حقه، وهكذا لما

استأذن ربه أن يستغفر لأمه نهي عن ذلك، لكنه أذن له أن يزورها، ولم يؤذن له في الاستغفار لها، فهذا يدل على أنهما بلغتهما الدعوة، وأنهما ماتا على دين الجاهلية، وعلى دين الكفر، وهذا هو الأصل في الكفار أنهم في النار" [انظر المرجع السابق فتاوى نور على الدرب]

-الفائدة الثالثة: الحديث دليل على أن النبي ﷺ لا يملك لنفسه، ولا لأحد ولو كان قريباً فهو لا يملك له من الله شيئاً، وإذ لو قدر على نفع أحد مات على الكفر لنفع أباه"

-الفائدة الرابعة: الحديث دليل على أنه لا محابة لأحد عند الله تعالى مهما ارتفعت منزلته.

-الفائدة الخامسة: في الحديث دلالة على أن الله تعالى يطلع نبيه ﷺ على بعض الغيب.

-الفائدة السادسة: في الحديث حسن مراعاة النبي ﷺ لمشاعر المتعلم إذا كان التعليم أو الجواب مما يفجعه وتسليه لمصابه بالاشترك في المصيبة حتى تهون مصيبته بأبيه.

قال النووي رحمه الله: " قول النبي ﷺ " إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ " هو من حسن العشرة للتسليه بالاشترك في المصيبة" [المرجع السابق (٣/٧٤)]

باب في قوله تعالى وأنذر عشيرتک الأقربين

١٥٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فُرَيْشًا. فَاجْتَمَعُوا. فَعَمَّ وَخَصَّ. فَقَالَ: « يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي مُرَّةِ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ. فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا. غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَابِلًا بِبِلَالِهَا ».

وفي رواية : « يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا. يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا. يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ سَلِّبِي بِمَا شِئْتِ. لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ».

١٥٣- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ. خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا. فَهَتَفَ: « يَا صَبَاحَاهُ » فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ. فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: « يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي فُلَانٍ يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ يَا بَنِي عَبْدِ

الْمُطَلَّبِ « فَاجْتَمِعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ». قَالَ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا؟ ثُمَّ قَامَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَد تَبَّ .

ترجمة راويي الحديثين:

أبو هريرة رضي الله عنه، تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.
وابن عباس رضي الله عنهما، تقدمت ترجمته في الحديث السابع من كتاب الإيمان.

تخريج الحديثين:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم حديث " ٢٠٤ " ، وأخرجه البخاري في " كتاب الوصايا " " باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب " حديث " ٢٧٥٣ " معلقاً، وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن " باب ومن سورة الشعراء " حديث " ٣١٨٥ " ، وأخرجه النسائي في " كتاب الوصايا " " باب إذا وصى لعشيرته الأقرين " حديث " ٣٦٤٦ "
وأما حديث ابن عباس رضي الله عنه فأخرجه مسلم حديث " ٢٠٨ " ، وأخرجه البخاري في " كتاب الجنائز " " باب ذكر شرار الموتى " حديث " ١٣٩٤ " وغيرهما ، وأخرجه الترمذي في " كتاب تفسير القرآن " " باب ومن سورة تبت يدا " حديث " ٣٣٦٣ " .

شرح ألفاظ الحديثين:

- " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " : أي ذوو القرابة القريبة، والعشيرة رهط الرجل الأدنون.
" دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا. فَعَمَّ وَخَصَّ " : كلمة " فَاجْتَمَعُوا " مقدمة وحققها التأخير- والتقدير: دعا قريشاً بطريقة التعميم والتخصيص فاجتمعوا، أي دعا معشر قريشاً عموماً، ثم خصص " . يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ... "

- " أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ " : بالإيمان بما جئت به، وفي رواية أخرى : " اشترُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ " قال ابن حجر رحمه الله: " اشترُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ " أي باعتبار تخليصها من النار، كأنه قال: أسلموا تسلموا من العذاب، فكان ذلك كالشراء، كأنهم جعلوا الطاعة ثمن التجارة " [الفتح (٨/٥٠٣)]

- "غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلَالِهَا": سأبلها أي سأصلها، يقال: بلّ رحمه إذا وصلها، والبلال بكسر الباء المماء، وروي بفتحها، والمعنى غير أن لكم رحماً سأصلها بوصولها الحق.

قال النووي رحمه الله: "شبهت قطيعة الرحم بالحرارة، ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة، ومنه بلو أرحامكم أي صلوها" [شرح مسلم (٧٥/٣)]

"فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهُ»": قال النووي رحمه الله: "وأما يهتف بفتح الياء وكسر التاء، ومعناه: يصيح ويصرخ وقولهم يا صباحاه كلمة يعتادونها عند وقوع أمر عظيم، فيقولونها ليجتمعوا ويتأهبوا والله أعلم" [انظر شرح النووي لمسلم (٧٨/٣)]

- "بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ": بفتح السين وهو أسفله وقيل عرضه، والمشار إليه جبل أبي قبيس حيث كان واقفاً على طرفه.

"فَقَالَ أَبُو هَبٍ: تَبًّا لَكَ": أبو هب بفتح الهاء وسكونها، عم النبي ﷺ، واسمه عبد العزى ابن عبد المطلب، وأمه خزاعية، وكني أبا هب إما بابنه هب، وإما لشدة حمرة وجنتيه، ووافق ذلك ما آل إليه أمره حيث سيصلي ناراً ذات هب، مات في وقعة بدر ولم يحضرها، بل أرسل بديلاً، فلما بلغه ما جرى لقريش مات غماً وكمداً، وكان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ ومعنى قوله "تَبًّا لَكَ" أي خسراً لك.

"فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَقَدْ تَبَّ": أي نزلت لذلك سورة المسد، قوله "وَقَدْ تَبَّ" هكذا قرأها الأعمش بزيادة "قد"، والذي يظهر أنه زادها من باب الحكاية لا يقصد بذلك القراءة إذ المشهور بدون زيادة "قد".

من فوائد الحديثين:

-الفائدة الأولى: قوله "لَمَّا أُنزِلَتْ" دليل على علو الله تعالى لأن النزول يكون من العلو إلى السفلى، وتقدم الكلام على صفة العلو بالتفصيل عند شرح حديث: "إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام" الحديث.

-الفائدة الثانية: الحديثان دليلان على أن من فقه الدعوة البداءة بالأقربين، وأن لهم حق تخصيصهم بالدعوة على خلاف ما عليه بعض الدعاة من الاهتمام بالأبعدين وإهمال الأقربين.

قال ابن حجر رحمه الله: "والسر في الأمر بإنذار الأقربين: أولاً: أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة فيحاييهم في الدعوة والتخويف، فلذلك نصّ له على إنذارهم" [الفتح (٥٠٣/٨)]

-**الفائدة الثالثة:** الحديث دليل على سرعة استجابة الرسول ﷺ لأمر الله تعالى، وامتناله للأمر بإنذار عشيرته، وعدم تأخير البيان عن وقت الحاجة.

-**الفائدة الرابعة:** مناداته النبي ﷺ لأسماء من قريش يجتمع معهم في نسبه بعد الأمر بالأقربين أخذ منه العلماء أن الأقرب للرجل من كان يجمعه معه جد أعلى، وأن القريب هو من الجد الرابع فما دون، ومن فوقه لا يدخل في الأقارب، واختاره شيخنا ابن العثيمين رحمه الله.

قال شيخنا: " وكذلك نقول في صلة الأقارب الذين تجب صلتهم، هم الذين يشاركونك في الجد الرابع فما دون، وأما من سواهم، أو من فوقهم فإنهم لا يدخلون في اسم القرابة" [التعليق على مسلم لشيخنا ابن عثيمين (٣٢٤/١)]

-**الفائدة الخامسة:** الحديثان دليلان على شجاعة النبي ﷺ حيث قام الموقف وأمام سادات قريش صادعاً بالحق من غير خوف ولا محاباة، وفيه شفقتة ﷺ على أقاربه وحرصه عليهم حيث قال: " أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ " وقال ﷺ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» وهكذا ينبغي للداعية أن يظهر حرصه وشفقتة على المدعوين.

-**الفائدة السادسة:** حديث أبي هريرة ؓ فيه دلالة على غاية كرم النبي ﷺ حيث قال لفاطمة رضي الله عنها "سَلِينِي بِمَا شِئْتِ" وفي حديث عائشة عند مسلم أنه قال لعمتة صفية وابنته فاطمة رضي الله عنهما ولبني عبد المطلب "سلوني من مالي ما شئتم" أي فإني أعطيك من مالي أي شيء تسألونه، ولكن لا تسألوني دفاعاً عنكم عند الله تعالى إن لم تسلموا وتعملوا خيراً" فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً " وهذا شاهد لقوله تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ المحرات: ١٣، إذ أن النجاة من عذاب الله بالتقوى لا بالنسب.

-**الفائدة السابعة:** حديث أبي هريرة ؓ دليل على أن القريب له حق الصلة وإن كان كافراً، لكن ليس له ولاية، لأن الموالاة لأهل الحق لا أهل الباطل، وفيه دليل على أنه يجوز إعطاء الكافر غير الحربي من المال لقوله ﷺ " سلوني من مالي ما شئتم " ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ المتنحة: ٨

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: " فيبين الله أنه لا ينهانا أن نعطي الكافر، أو نبره بالصدقة، والهدية، والهبة، بشرط أن لا يكون قاتلنا في الدين، وأخرجنا من ديارنا، أما إذا كان قاتلنا في الدين فلا كرامة له" المرجع السابق (٧٢٢/١)

-الفائدة الثامنة: الحديثان يدلان على أن أعظم ما يصل به العبد رحمه دعوتهم إلى الله تعالى بدءاً بالتوحيد، فالدعوة إلى الله تعالى تأتي في المقام الأول من حقوق الصلاة.

-الفائدة التاسعة: حديث ابن عباس رضي الله عنهما فيه دلالة على أهمية التوطئة للدعوة وأن من الأساليب الدعوية المناسبة تقرير المدعويين بما يتفق به معهم ويكون مدخلاً لدعوته، فالنبي صلى الله عليه وسلم أقرهم أولاً في مهام أمورهم وشأنهم بصدقه ثم دعاهم للتوحيد.

-الفائدة العاشرة: الحديثان يدلان على فضيلة التوحيد وأنه سبب النجاة من النار كما أن الشرك سبب لدخولها.

-الفائدة الحادية عشر: حديث ابن عباس رضي الله عنهما دليل على سنة الله تعالى في طريق الدعوة وأنه لم يسلم من الأذى فيه والعداء للرسول فكيف بمن دوتهم من الدعاة، وأن الإعراض والأذى قد يأتي من الأقربين.

الفائدة الثانية عشر: في حديث ابن عباس رضي الله عنهما بيان سبب نزول سورة المسد.

باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه

١٥٤- عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَفَعَتْ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ. هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ. وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه : «فَيَجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ». ولمسلم عن ابن عباس ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ. وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ».

١٥٥- عَنِ التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَيْنِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ. كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً. وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً».

ترجمة رواية الأحاديث:

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه تقدمت ترجمته في الحديث الثامن عشر من كتاب الإيمان. أبو سعيد الخدري رضي الله عنه تقدمت ترجمته في الحديث السابع من كتاب الإيمان وابن عباس رضي الله عنهما تقدمت ترجمته في الحديث السابع من كتاب الإيمان. وأما النعمان رضي الله عنه فهو النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد الأنصاري الخزرجي، ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بشماني سنين وسبعة أشهر، وقيل بست سنين، والأول أصح قاله الجزري ابن الأثير في أسد الغابة، استعمله معاوية رضي الله عنه على الكوفة، وكان كريماً جواداً شاعراً شجاعاً قتل سنة أربع وستين في ذي الحجة رضي الله عنه وعن أبيه وأرضاهما.

تخريج الأحاديث:

حديث العباس بن عبد المطلب أخرجه مسلم حديث "٢٠٩"، وأخرجه البخاري في كتاب " مناقب الأنصار " " باب قصة أبي طالب " حديث " ٣٨٨٣ ".
وأما حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فأخرجه مسلم حديث " ٢١٠ "، وأخرجه البخاري في " كتاب مناقب الأنصار " " باب قصة أبي طالب " حديث " ٣٨٨٥ ".
وأما حديث ابن عباس فأخرجه مسلم حديث " ٢١٢ " وانفرد به .
وأما حديث النعمان بن بشير فأخرجه مسلم حديث " ٢١٣ "، وأخرجه البخاري في " كتاب الرقاق " " باب صفة الجنة والنار " حديث " ٦٥٦١ "، وأخرجه الترمذي في " كتاب صفة جهنم " " باب ١٢ " حديث " ٢٦٠٤ " .

شرح ألفاظ الأحاديث:

- " هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ " : أبو طالب هو عبد مناف شقيق عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم الذي استمر في حفظ ورعاية النبي صلى الله عليه وسلم حتى بعد البعثة وكان يذب عنه ما يؤذيه إلى أن مات على الكفر في آخر السنة العاشرة. [انظر الفتح لابن حجر (٧ / ١٩٤)]
- " يَحُوتُكَ " : بفتح الياء وضم الحاء، أي يحفظك ويصونك ويذب عنك ما يؤذيك ولذا قال " وَيَعُضَبُ لَكَ؟ "

- " نَعَمْ. هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ " : قال النووي رحمه الله: " الضحضاح ما رق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين واستعير في النار " [شرح مسلم (٣ / ٨٠) وانظر المفهم للقرطبي (١ / ٤٥٦)]

- "الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" : قال النووي رحمه الله: " قال أهل اللغة في " الدَّرَكِ " لغتان فصيحتان مشهورتان: فتح الراء وإسكانها وقرئ بهما في القراءات السبع... وأما معناه فقال جميع أهل اللغة والمعاني والغريب وجماهير المفسرين: الدرك الأسفل قعر جهنم وأقصى أسفلها، قالوا: ولجهنم أدراك فكل طبقة من طبقاتها تسمى دركاً والله أعلم" [شرح مسلم (٣/ ٨٠، ٨١)]

- " وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ " : الشرك بكسر الشين هو أحد سيور النعل، وهو الذي يكون على وجهها من على ظهر القدم.

- " كَمَا يَغْلِي الْمَرْجَلُ " : بكسر الميم وفتح الجيم وهو قدر معروف سواء كان من حديد أو نحاس أو حجارة أو خزف، وقيل هو القدر من النحاس خاصة، والغليان: شدة اضطراب الماء ونحوه على النار لشدة اتقادها.

من فوائد الحديث:

-الفائدة الأولى: الأحاديث دليل على أن أبا طالب مات على الشرك، وفيه الرد على الرافضة الذين زعموا إسلامه.

قال ابن حجر رحمه الله: " ووقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبي طالب ولا يثبت من ذلك شيء" [الفتح (٧/١٩٥)]

-الفائدة الثانية: الأحاديث دليل على إثبات نوع من أنواع الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ وهي شفاعته لعمه أبي طالب بتخفيف العذاب ، وتقد أن أنواع الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ ثلاث شفاعات:

١- الشفاعة العظمى لأهل الموقف وتقدم بيانه قريبا في حديث أبي هريرة وحديث أبي سعيد رضي الله عنهما.

٢- الشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة وتقدم بيانها في حديث أنس ﷺ .

٣- الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب والتي دل عليها أحاديث الباب.

وما سوى هذه الشفاعات ليس خاصاً بالنبي ﷺ بل لسائر الأنبياء والصديقين والمؤمنين.

واستشكلت أحاديث هذه الشفاعة بقوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ للدثر: ٤٨؛ أي لا تنفع الكفار أي شفاعة، فكيف الجمع بينها؟

قيل: المراد بالآية أي لا تنفعهم شفاعة في إخراجهم من النار، أما تخفيف العذاب فليس بمنفي، وجزم به القرطبي رحمه الله [انظر المفهم (١/٤٥٧)] ونوقش هذا الجواب بأن التخفيف أيضا منفي بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾

وقيل: بأن الشفاعة في الأحاديث لأبي طالب مستثنى من قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ فالأصل عدم نفع الشفاعة لأي كافر خُصَّ من ذلك شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب، ولذا هي شفاعة خاصة، وهذا القول هو الصواب إن شاء الله.

-الفائدة الثالثة: الأحاديث دليل على أن عذاب النار متفاوت، كما أن نعيم الجنة متفاوت.

-الفائدة الرابعة: الأحاديث دليل على أن العمل الصالح وأوله التوحيد عليه النجاة من عذاب النار، وأن القرابة والنسب لا يعني من عذاب الله، ولو كانت النجاة لأحد لكانت لعم النبي ﷺ.

قال ابن حجر رحمه الله: " من عجائب الاتفاق أن الذين أدركهم الإسلام من أعمام النبي ﷺ أربعة، لم يسلم منهم اثنان، وأسلم اثنان، وكان اسم من لم يسلم ينافي أسامي المسلمين وهما أبو طالب اسمه عبد مَنَاف، وأبو لهب واسمه عبد العزى، بخلاف من أسلم وهما حمزة والعباس رضي الله عنهما " [الفتح (٧/١٩٥)]

-الفائدة الخامسة: حديث النعمان ؓ فيه بيان أهون أهل النار عذاباً، وأنه مع دنوه إلا أنه لا يطاق، إذ أن صاحبه يظن أنه أشد الناس عذاباً، والعياذ بالله.

-الفائدة السادسة: قول النبي ﷺ: " . وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ " فيه جواز إسناد الشيء إلى سببه المعلوم، كقول الشخص أنقذه آخر من الغرق، لولا فلان لمت أو غرقت، أما إذا أضيف إلى سبب موهوم كأن يضاف إلى ما ليس بسبب، كأن يلبس قلادة عن العين، ويقول لولا هذه القلادة لأصابتنى العين، فهذا لا يجوز، أما إذا أضيف إلى سبب معدوم، كأن يقول: لولا فلان الميت لغرقت أو هلكت، فهذا شرك أكبر، لأن السبب هنا يُعلم بطلانه، فالأقسام ثلاثة:

الأول: أن يضاف الشيء إلى سبب معلوم، فهو جائز.

الثاني: أن يضاف الشيء إلى سبب موهوم، فلا يجوز.

الثالث: أن يضاف الشيء إلى سبب معدوم، فهو شرك أكبر. [انظر تعليق شيخنا ابن عثيمين على

صحيح مسلم (١/٧٢٦-٧٢٧)]

باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل

١٥٦- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ. إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ».

ترجمة راوي الحديث:

عائشة رضي الله عنها، تقدمت ترجمتها في الحديث مائة وعشرين من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم، حديث "٢١٤"، وانفرد به عن البخاري.

شرح ألفاظ الحديث:

- "ابْنُ جُدْعَانَ": بضم الجيم وإسكان الدال، واسمه عبدالله، قال النووي رحمه الله: "قال العلماء: وكان ابن جدعان كثير الإطعام، وكان اتخذ للضيفان جفنة يرقى إليها بسلم، وكان من بني تميم بن مرة أقرباء عائشة رضي الله عنها، وكان من رؤساء قريش واسمه عبد الله" [شرح مسلم (٨٢/٣)]

- "فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟": أي هل ذلك مخلصه من عذاب الله المستحق بالكفر؟

- "يَوْمَ الدِّينِ": أي يوم الجزاء والحساب، لأن الدين يطلق على أمرين: أولاً: يوم الجزاء كقوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ويطلق على العمل كقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينٌ﴾ سورة الكافرون ٦ ومعنى قوله ﷺ "إنه لم يقل يوماً رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ" أي أنه لم يصدق بالبعث.

من فوائد الحديث:

-الفائدة الأولى: الحديث دليل على أن الكافر لا تنفعه أعماله الصالحة ولو كثرت، لأن الكفر مانع من قبول العمل، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ سورة التوبة: ٥٤، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ سورة الفرقان: ٢٣

قال النووي رحمه الله: " معنى هذا الحديث: أن ما كان يفعله من الصلة والإطعام ووجوه المكارم لا ينفعه في الآخرة لكونه كافراً، وهو معنى قوله ﷺ " لَمْ يُثَلِّمْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ " أي لم يكن مصداقاً بالبعث، ومن لم يصدق به كافراً ولا ينفعه عمل " [شرح مسلم (٣/٨٢)]
أما إن أسلم الكافر، فإن ما فعله من الأعمال الصالحة قبل إسلامه يكتب له أجره على الصحيح لقول النبي ﷺ " لحكيم بن حزام - وتقدمت مباحث الحديث - " أسلمت على ما سلف من خير "

-الفائدة الثانية: في الحديث دليل على مشروعية طلب المغفرة، وأفضلية هذا الدعاء " رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ "

-الفائدة الثالثة: الحديث دليل على عظم منزلة التوحيد فهو شرط في قبول العمل، وفي الحديث دلالة على فضل صلة الأرحام، وإطعام المساكين.

-الفائدة الرابعة: الحديث دليل على إثبات يوم القيامة والحساب والجزاء.

باب موالاتة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم

١٥٧- عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَهَارًا غَيْرَ سِرٍّ، يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي فَلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»
وفي رواية عند البخاري: « ولكن لهم رحم أبلاها ببلالها » وهي عند مسلم من حديث أبي هريرة كما سبق .

ترجمة راوي الحديث:

عمرو بن العاص رضي الله عنه، تقدمت ترجمته في الحديث الثامن والثمانين من كتاب الإيمان.

تخريج الحديث:

الحديث أخرجه مسلم حديث " ٢١٥ "، وأخرجه البخاري في " كتاب الأدب " " باب تبل الرحم ببلالها " حديث " ٥٩٩٠ "

شرح ألفاظ الحديث:

- " جَهَاراً غَيْرَ سِرٍّ " : أي علانية، أظهره وأشاعه، وقوله " غَيْرَ سِرٍّ " تأكيد لذلك.
- " فَلَانٍ " : قال النووي رحمه الله: " هي من بعض الرواة خشية أن يسميه فيترتب عليه مفسدة وفتنة، إما في حق نفسه وأما في حقه وحق غيره فكفى به " [شرح مسلم (٨٣/٣)]
- قيل المراد: بني أمية ، وقيل: آل أبي العاص بن أمية وضعفهما ابن حجر رحمه الله ورجح أن المقصود آل أبي طالب " [انظر الفتح (٤٢٠/١٠)]
- " لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ " : المقصود من لم يسلم منهم وهذا من إطلاق الكل وإرادة البعض.
- " وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ " : قال النووي رحمه الله: " إن معناه: إنما وليي من كان صالحاً وإن بعد نسبه مني، وليس وليي من كان غير صالح وإن كان نسبه قريباً مني " [شرح مسلم (٨٣/٣)]
- " لَهْم رَحِمٌ أَبْلَهَا بِبَالِهَا " : أبلها أي أصلها، يقال: بل رحمه إذا وصلها، والبال بكسر الباء الماء، وروي بفتحها، والمعنى: غير أن لكم رحماً سأصلها بوصلها الحق "

من فوائد الحديث:

- الفائدة الأولى: الحديث دليل على وجوب موالاتة المؤمنين وإن كانوا من الأبعدين، ومعاداة الكافرين وإن كانوا من الأقربين، وهذه تسمى عقيدة الولاء والبراء، وهي أصل عظيم من أصول الشريعة الإسلامية، تضافرت النصوص في إثباتها وبيانها، وأن الولاء للمؤمن وإن كان بعيداً كما قال النبي ﷺ " إِنَّمَا وَلِيُّيَ اللَّهُ وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ " وأن البراءة من الكافر وإن كان قريباً " أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي فَلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ " ودل على هذا الأصل الكتاب كما دلت السنة:

قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة المجادلة: ٢٢

قال ابن كثير رحمه الله: " في قوله تعالى ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر فالله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم " [تفسير ابن كثير (٥٥/٨)]

ولعقيدة الولاء والبراء في الشريعة منزلة عظيمة لما يلي:-

١- أنها جزء من معنى: لا إله إلا الله.

٢- أنها شرط في الإيمان قال تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿ سورة المائدة: ٨١، ٨٠

٣- أن هذه العقيدة أوثق عرى الإيمان

عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله "

٤- أنها سبب للحصول على حلاوة الإيمان

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النبي ﷺ: " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " متفق عليه.

٥- أنه بتحقيق هذه العقيدة تنال ولاية الله

لحديث الباب، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَحَبُّ فِي اللَّهِ، وَال فِي اللَّهِ، وَعَادِي فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تَنَالُ وَايَةَ اللَّهِ بِذَلِكَ، لَا يَجِدُ رَجُلٌ طَعَمَ الْإِيمَانَ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ " رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

٦- أن عدم تحقيق هذه العقيدة سبيل من سبل الكفر .

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ سورة المائدة: ٥١

-الفائدة الثانية: الحديث دليل على مشروعية الجهر بالبراءة من الكفار وإظهار ذلك ما لم يكن في ذلك فتنة.

-الفائدة الثالثة: الحديث دليل على أن حب الصالحين من عقيدة الولاء والبراء، وفي ذلك فضيلة أهل الصلاح لصلاحهم.

-الفائدة الرابعة: رواية البخاري: " ولكن لهم رحم أبلها ببلالها " دليل على أن القريب له حق الصلة وإن كان كافراً، لكن ليس له ولاية لأن الموالاتة لأهل الحق لا أهل الباطل.

باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب

١٥٨- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُمِائَةَ أَلْفٍ مُتَمَاسِكُونَ. آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. لَا يَدْخُلُ أَوْلَهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».

١٥٩- وعن عبدالرحمن بن حصين قال كنت عند سعيد بن جبيرة فقال: أَيُّكُمْ رَأَى الْكُوكَبَ الَّذِي انْقَضَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ. وَلَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَا الشَّعْبِيُّ. فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبِ الْأَسْلَمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقِيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ. فَقَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ. وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ. فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهَيْطُ. وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ. وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ. إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ. فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي. فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْأَفْقِ. فَتَنظَرْتُ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ. فَقِيلَ لِي: انظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخِرِ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ. فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ. وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ». ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ. فَخَاصَ النَّاسُ فِي أَوْلِيكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخَوْضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ. فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ. وَلَا يَسْتَرْقُونَ. وَلَا يَتَطَيَّرُونَ. وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَامَ عَكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنِ. فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ». ولمسلم من حديث عمران: «وَلَا يَكْتَتُونَ» وهي عند البخاري من حديث ابن عباس .
وورد نحو هذا الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ترجمة رواية الأحاديث:

- سهل بن سعد رضي الله عنه، تقدمت ترجمته في الحديث الثمانين من كتاب الإيمان.
ابن عباس رضي الله عنهما، تقدمت ترجمته في الحديث السابع من كتاب الإيمان.
عمران بن حصين رضي الله عنه، تقدمت ترجمته في الحديث الحادي والعشرين من كتاب الإيمان.
أبو هريرة رضي الله عنه، تقدمت ترجمته في الحديث الأول من كتاب الإيمان.

تخريج الأحاديث:

حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أخرجه مسلم حديث "٢١٩"، وأخرجه البخاري في "كتاب الرقاق" "باب صفة الجنة والنار" حديث "٦٥٥٤"
وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه مسلم حديث "٢٢٠"، وأخرجه البخاري في "كتاب الطب"
"باب من اكتوى أو كوى غيره" حديث "٥٧٠٥"، وأخرجه الترمذي في "كتاب الزهد" "باب ١٦"
حديث "٢٤٤٦"
وحديث عمران بن الحصين أخرجه مسلم حديث "٢١٨"، وانفرد به.
وحديث أبي هريرة أخرجه مسلم حديث "٢١٦"، وأخرجه البخاري في "كتاب الرقاق" "باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب" حديث "٦٥٤٢".

شرح ألفاظ الأحاديث:

- "مُتَمَاسِكُونَ. آخِذْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا": قال النووي رحمه الله: "هكذا هو في معظم الأصول" مُتَمَاسِكُونَ" بالواو و"آخِذٌ" بالرفع، ووقع في بعض الأصول "متماسكين" و"آخِذًا" بالياء والألف وكلاهما صحيح ومعنى متماسكين ممسك بعضهم بيد بعض، ويدخلون معترضين صفاً واحداً بعضهم بجانب بعض" [شرح مسلم (٨٧/٣)]

- "لَا يَدْخُلُ أَوْلَاهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ": أي أن دخولهم يكون في وقت واحد.

- "وَجَوْهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ": أي أنهم في إشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه، وهي ليلة اليوم الرابع عشر.

"حصين بن عبد الرحمن": هو السلمي الكوفي، ثقة مات سنة ١٣٠ هـ.

- "سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ": هو الإمام الثقة الفقيه من جلة أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ هـ.

- "انْقَضَ الْبَارِحَةَ؟": سقط، وأما البارحة فهي أقرب ليلة مضت.

- "قُلْتُ: أَنَا": أي حصين.

- "أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ": أراد أن ينفي عن نفسه ظن العبادة والسهرة لأجل الصلاة، لأن غالب فعل الناس حينئذ الصلاة في الليل.

- "وَلَكِنِّي لُدِغْتُ": لُدِغْتُ: بضم اللام أي أصابته عقرب بسمها، ونحوها من ذوات السموم
- "اسْتَرْقَيْتُ": أي طلبت من يرقيني.
- "فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟": أي قال سعيد بن جبير رحمه الله: ما السبب الذي جعلك تطلب الرقية
- "حَدِيثٌ حَدَّثَنَا الشَّعْبِيُّ": أي حملي عليه حديث حدثنا الشعبي، والشعبي رحمه الله اسمه عامر بن شرحبيل الشعبي، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه وهو من ثقات التابعين وحفاظهم وفقهائهم، مات سنة ١٠٣ هـ
- "عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبِ الْأَسْلَمِيِّ": بريدة: بضم الباء وفتح الراء، حصيب: بضم الحاء وفتح الصاد، الأسلمي: صحابي رضي الله عنه مات عام ٦٣ هـ.
- "لَا رُقِيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ": الرقية: هي القراءة على المريض أو المصاب، هكذا رويت في حديث الباب موقوفة، ورويت عند أحمد وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعة.
- العين: إصابة العائن غيره بعينه، وبعض الناس يسميها "النفس" وبعضهم يسميها "الحسد"
- الحُمَة: بضم الحاء وتخفيف الميم وفتحها وهي سم العقرب وشبهها، والمقصود لا رقية أولى من الرقية لأجل العين أو الرقية لأجل الحمة.
- قال النووي رحمه الله: "قال الخطابي: ومعنى الحديث لا رقية أشفى وأولى من رقية العين وذو الحمة" [شرح مسلم (٨٨/٣)]
- "قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ": أي أحسن من عمل بما سمع ووقف عنده لأنه أدى ما وجب عليه وعمل بما بلغه.
- "وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ": أراد سعيد بن جبير رحمه الله بيان ماهو أفضل من الاسترقاء وهو ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
- "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ": العارض لها الله سبحانه وتعالى.
- "فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهَيْطُ": تصغير الرهط وهو الجماعة دون العشرة.
- "وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ": قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: "الظاهر أن الواو بمعنى "أو" أي ومعه الرجل أو الرجلان؛ لأنه لو كان معه الرجل والرجلان صار يغني أن يقول: ومعه الثلاثة. [القول المفيد على كتاب التوحيد (١٠٠/١)]
- "وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ": أي يبعث ولا يكون معه أحد، لكن يبعثه الله لإقامة الحجة، ولأن من الأنبياء من قتل كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ سورة آل عمران: ١١٢، وربما فيمن قتل من لم يتبعه أحد.

- "إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ": السواد العظيم : العدد الكبير الذي يُرى من بعيد يكون سواداً.
- "انظُرْ إِلَى الْأُفُقِ": الأفق : الناحية ، والمراد به هنا ناحية السماء .
- "فَنظَرْتُ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ": أي أعظم من السواد ، لأنه جاء في رواية عند البخاري: " فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق"
- "بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ": قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: " أي لا يعذبون ولا يحاسبون كرامة لهم، وظاهره أنه لا في قبورهم ولا بعد قيام الساعة" [القول المفيد على كتاب التوحيد(١/١٠١)]
- "ثُمَّ نَهَضَ": أي قام.
- "فَخَاضَ النَّاسُ فِي أَوْلِيكَ": أي تكلموا وتناظروا وانتشر الحديث
- "هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْفُقُونَ": أي لا يقرأون على غيرهم بالرقية، لكن هذه اللفظة شاذة انفرد بها مسلم عن البخاري فلا تصح لمخالفتها جملة من الأحاديث، فالرقية هدي النبي ﷺ فقد كان يرقى وسيأتي بيان ذلك.
- "وَلَا يَسْتَرْفُقُونَ": أي لا يطلبون من أحد أن يرقئهم، لقوة اعتمادهم على الله، ولما في ذلك من التعلق بغير الله تعالى .
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فمدح هؤلاء بأنهم لا يسترقون : أي لا يطلبون من أحد أن يرقئهم، والرقية من جنس الدعاء فلا يطلبون من أحد ذلك" [مجموع الفتاوي (١/١٨٢)]
- "وَلَا يَكْتُمُونَ": أي لا يطلبون من أحد أن يكويهم؛ لأن تركه أفضل لاسيما عند وجود غيره أو عند عدم الحاجة.
- "وَلَا يَنْطَيْرُونَ": مأخوذة من الطير وأصله التشاؤم بالطير الذي كان منتشراً في الجاهلية، ولكنه يعم كل تشاؤم بمرئي أو مسموع أو زمان أو مكان.
- "وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ": وهذا هو الأصل الجامع الذي تفرعت منه الأفعال السابقة وهو التوكل على الله وصدق اللجأ إليه.
- "فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ": عُكَّاشَةُ: بضم العين، و مُحْصَنٍ: بكسر الميم، كان من السابقين إلى الإسلام، شهد بدرًا، وقاتل مع خالد بن الوليد ﷺ أهل الردة حتى استشهد عام ١٢هـ.
- "ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ": في رواية البخاري قال النبي ﷺ: " اللهم اجعله منهم"
- "ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ": لم يرد ذكر اسم الرجل ولا حاجة للبحث عن اسمه

قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: "واختلف العلماء لماذا قال الرسول ﷺ هذا الكلام؟ فقيل: إنه كان منافقاً فأراد ألا يجابهه بما يكره تأليفاً، وقيل: خاف أن يفتح الباب فيطلبها من ليس منهم، فقال هذه الكلمة التي أصبحت مثلاً وهذا أقرب" [القول المفيد (١/١٠٦)]

من فوائد الأحاديث:

-الفائدة الأولى: حديث ابن عباس رضي الله عنهما دليل على فضل تحقيق التوحيد وأن الناس فيه مراتب، يدل على ذلك أن أعظم الناس توحيداً واعتماداً على الله تعالى هم أعظم الناس فوزاً بدخولهم الجنة بلا حساب ولاعذاب.

لأنهم تركوا الاسترقاء والتطير والاكْتِواء تحقيقاً لكمال التوحيد.

-الفائدة الثانية: في المذاكرة العلمية بين سعيد بن جبير وحصين بن عبد الرحمن بيان ما كان عليه السلف من حب العلم وتبليغه.

-وفيه حرصهم على مذاكرة العلم والاستناد إلى الدليل وطلبه كما جرى بين حصين بن عبد الرحمن وسعيد بن جبير رحمها الله.

-وفيه أدب النقاش والثناء على من عمل بعلم ودليل كما قال سعيد بن جبير لحصين "قَدْ أَحْسَنَ مَنْ أَنْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ"

-وفيه حسن تلتفهم وإرشادهم في تبليغ العلم والإرشاد إلى ما هو أفضل منه

-وفيه ما كانوا عليه من البعد عن الرياء، لقوله: "أَمَّا إِيَّيْ لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ" وفيه حرصهم في البعد عن مدحهم بما لم يفعلوا وعلى هذا كان أكثر السلف بل إذا حصل ما يوهم مدحهم بما لم يفعلوا تبرأوا منه مباشرة كما في هذا الحديث على خلاف كثير من أهل زماننا والله المستعان.

-الفائدة الثالثة: في الحديث دلالة على فضل موسى عليه السلام وأنه من أكثر الأنبياء اتباعاً.

-الفائدة الرابعة: في الحديث فضيلة النبي ﷺ من وجهين:-

الأول: كثرة أتباعه فهو أكثر الأنبياء تبعاً لحديث الباب ولما تقدم من حديث أنس بن مالك ﷺ عند مسلم "أنا أكثر الأنبياء تبعاً"

الثاني: بيان فضيلته وشرفه بكثرة الأتباع.

-الفائدة الخامسة: الحديث دليل على قلة من استجاب للأنبياء، لقوله ﷺ "وَالنَّبِيِّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ. وَالنَّبِيِّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ." وفي هذا تسليية للدعاة الذين يجدون إعراضاً من الناس عن دعوتهم بتأمل حال بعض الأنبياء وقلة أتباعه ومنهم من ليس له تابع.

وفي هذا دلالة على قلة التابعين للحق، وجاءت أدلة كثيرة تدل على هذه الحقيقة كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يوسف: ١٠٣، وقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ سورة يوسف: ١٠٦، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ سورة الأنعام: ١١٦، وقوله في شأن نوح عليه السلام: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ سورة هود: ٤٠، وقول النبي ﷺ: "ما أنتم في الأمم إلا كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض" متفق عليه، وغيرها من الأدلة.

-الفائدة السادسة: الحديث دليل على فضيلة هذه الأمة كما وكيفاً.

أما الكمية: فلأن النبي ﷺ رأى سواداً عظيماً أعظم من السواد الذي كان مع موسى عليه السلام مما يدل على كثرة أتباعه ﷺ.

وأما الكيفية: لأن مع هؤلاء طائفة حققوا كمال الاعتماد على الله تعالى بأنهم لا يسترقون ولا يكتنون ولا يتطيرون وعلى رحم يتوكلون.

-الفائدة السابعة: الحديث دليل على أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها، لقوله ﷺ: "رَأَيْتَ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلَ وَالرَّجُلَانِ" ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ سورة الحج: ٢٨.

-الفائدة الثامنة: الحديث دليل على حرص الصحابة رضوا الله عنهم على نيل فضائل الأعمال وذلك بخوضهم وبحثهم عن سبب دخول السبعين ألف بغير حساب ولا عذاب وفيه عمق علمهم لأنهم عرفوا أن ذلك لا ينال إلا بعمل فاجتهدوا في البحث عن سببه.

-الفائدة التاسعة: الحديث دليل على حرص الصحابة رضوا الله عنهم على المنافسة على الخيرات لسبق عكاشة رضوا الله عنهم بقوله "ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ" فقال النبي ﷺ "أَنْتَ مِنْهُمْ" وفي هذا علم من أعلام نبوته ﷺ حيث أخبر أن عكاشة بن محصن رضوا الله عنهم ممن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وفيه فضيلة عكاشة رضوا الله عنهم.

-الفائدة العاشرة: الحديث دليل على قاعدة [سد الذرائع]، ووجهه أن الرجل الآخر حين سأل النبي ﷺ أن يجعله منهم، قال النبي ﷺ "سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ" واختلف العلماء في سبب قول النبي ﷺ له ذلك:

فقيل: لأنه كان منافقاً، وفي هذا نظر من وجهين:

الأول: أن الأصل في الصحابة عدم النفاق، فلا يثبت ما يخالف ذلك إلا بنقل صحيح.

الثاني: أنه قل أن يصدر مثل هذا الطلب إلا عن قصد صحيح وتصديق بالرسول ﷺ فلا يصدر من منافق. وقيل: إن النبي ﷺ قال ذلك سداً للذريعة لئلا يقوم من ليس من أهلها فيطلبها ويتسلسل الأمر وهذا هو الأقرب واختاره القرطبي رحمه الله، واختاره شيخنا ابن عثيمين كما تقدم. [انظر المفهم (٤٦٩/١)]

-الفائدة الحادية عشر: حديث سهل بن سعد فيه دلالة على سعة أبواب الجنة، ووجه ذلك أنه يدخل منها سبعون أو سبعمائة ألف صفاً واحداً لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم.

قال النووي رحمه الله: " وهذا تصريح بعظم سعة باب الجنة " شرح مسلم (٨٧/٣) وفيه حسن وجوههم إذا أنهم على صورة القمر ليلة البدر وان أهل الجنة يختلف جمالمهم وبهاؤهم كما تختلف درجاتهم- نسأل الله تعالى من واسع فضله وكرمه-.

-الفائدة الثانية عشر: في ذكر السبعين ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب وصفاتهم عدة فوائد ومسائل وهي كما يلي:

***قوله ﷺ: " وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ "

*فيه إثبات الجنة، والحساب، والعذاب

*فيه فضل الله تعالى الواسع بإدخال السبعين ألفاً الجنة بلا حساب، ولا عذاب، وجاء في حديث سهل بن سعد ﷺ في الباب قوله ﷺ " ليدخلن الجنة من أمتي سَبْعُونَ أَلْفًا أو سبعمائة ألف " والشك هنا من الراوي أبي حازم، لكنه جاء في مسند الإمام أحمد و سنن الترمذي وحسنه و سنن ابن ماجه حديث أبي أمامة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثياته " وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: " وسألت ربي عزوجل فوعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً على صورة القمر ليلة البدرن فاستزدت فزادني مع كل ألف سبعين ألفاً "

قال ابن حجر رحمه الله: " سنده جيد " [الفتح (٤١٠/١١)]

***قوله ﷺ: " هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ " : أي لا يقرأون على غيرهم بالرقية

تقدم أنها رواية شاذة انفرد بها مسلم عن البخاري، وذلك لما يلي:

١- أن الرقية هدي النبي ﷺ، فقد كان يرقى كما في الصحيحين من حديث عائشة، وراقه جبريل كما في حديث عائشة عند مسلم ورقته عائشة رضي الله عنها كما في الصحيحين من حديث عائشة.

٢- أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرقون، فقد رقت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ، ورقى الصحابة غيرهم كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه المتفق عليه في قصة الصحابي الذي رقى سيد الحي بفاتحة الكتاب فقال النبي ﷺ: "وما أدراك أنها رقية".

٣- أن الراقي محسن إلى غيره فكيف يمنع هذا الفضل، وقد سأل رجل النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله أرقى؟ قال ﷺ: "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل" رواه مسلم

٤- أن النبي ﷺ قال في آخر الحديث "وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" وعمل الراقي لا منافاة بينه وبين التوكل بخلاف المسترقي والمكتوي والمتطير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند رواية "لَا يَرْقُونَ": وهذه الزيادة وهم من الراوي، والراقي محسن إلى أخيه وقد قال النبي ﷺ وقد سئل عن الرقى فقال: "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل"، وقال ﷺ: "لابأس بالرقى ما لم تكن شركاً" [انظر المستدرک على الفتاوى (٢٧/١)]

***قوله ﷺ "وَلَا يَسْتَرْقُونَ" أي لا يطلبون الرقية من غيرهم

-فيه أن من أراد نيل فضل السبعين ألفاً بدخول الجنة بلا حساب ولا عذاب ألا يطلب الرقية، لقوله ﷺ "وَلَا يَسْتَرْقُونَ" والسين والتاء تدلان على الطلب، ومفهومه أنه إذا لم يطلب الرقية لم يكن ذلك مانعاً في تحقيق الفضل، والحكمة من تمييزهم بهذه الصفة هو تمام توكلهم واعتمادهم على الله تعالى وعدم تعلقهم بغيره -مفهوم الحديث أن الإستجابة للرقية من غير طلب لا تمنع تحقيق الفضل، ويشهد لهذا ما تقدم من رقية جبريل للنبي ﷺ ورقية عائشة رضي الله عنها له ﷺ، وعليه يقال الإنسان مع الرقية على ثلاث مراتب:

الأولى: أن يطلب الرقية، فهذا يفوته الفضل ويدخل في حديث الباب "ولا يسترقون".

الثانية: ألا يمنع الرقية إذا عرضت عليه، فهذا لا يفوته الفضل لأنه لم يطلبها وإنما عرضت عليه

الثالثة: أن يمنع الرقية إذا عرضت عليه، فهذا خلاف السنة؛ لأن النبي ﷺ لم يمنع عائشة رضي الله عنها حين رقت وكذا الصحابة كان يرقى بعضهم بعضاً.

-في الحديث مشروعية الرقية لاسيما من العين ولدغة ذوات السم من عقرب ونحوها لقوله ﷺ: "لا رقية إلا من عين وحمة" وفيه إثبات الإصابة بالعين وأنها حق، وللرقية المشروعة شروط ثلاثة:

الأول: أن تكون الرقية بكلام الله تعالى أو بأسمائه أو بصفاته أو بما أثر عن النبي ﷺ.

الثاني: أن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

الثالث: الاعتقاد بأن الرقى لا تؤثر بذاتها بل التأثير من الله تعالى.

بهذه الشروط تكون الرقية صحيحة ، أما عن تأثير الرقية فإنه أدعى في تأثيرها إذا توفر شرطين إضافة لما سبق:

الأول: يتعلق بالراقي بأن يكون صاحب إيمان وصلاح وحضور قلب لما يقرأ.
الثاني: يتعلق بالمرقي بأن يكون معتمداً على الله تعالى موقناً بشفائه ونفع آياته، لا يأتي للرقية للتجربة أو مجرد طرق هذا الباب فإن مثل هذا لا ينتفع.

ذكر شيخنا ابن عثيمين رحمه الله هذين الشرطين ثم قال " فلو كان الذي يُقرأ عليه الفاتحة يشك في هذا ويقول والله لا أدري، لكن نجرب، فإنه لا ينفعه إذ لا بد من قبول تام" [التعليق على مسلم (١/٧٥٢)]
***قوله ﷺ " وَلَا يَتَطَيَّرُونَ "

*فيه ذم التطير، والتطير مأخوذ من الطير وأصله التشاؤم بالطير الذي كان منتشرراً عند العرب، فإذا ذهب الطير ناحية الشمال أو رجع إلى الخلف تشاءموا، وإذا ذهب ناحية اليمين تفاءلوا، لذا سمي تطيراً، ولا يلزم أن يكون التشاؤم بالطير وإنما يعم كل تشاؤم سواء أكان بمرئي كرؤية الطير، أو مسموع كأن يسمع صوتاً يكرهه فيعلق عليه مصيره الذي صار إليه أو ينتظره، أو بمعلوم كأن ينتشر عند الناس معلومة لا حقيقة لها ويصدقونها فيتشاءمون بها كما تشاءم العرب بشهر شوال وأن أي نكاح به لن يكون موفقاً، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول كما في صحيح مسلم: " تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأمكن كانت أحظى عنده مني"، ومثله التشاؤم بأيام معينة، فكل تشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم فهو منهي عنه. والتشاؤم حكمه محرم ولذا نهى عنه الإسلام ودعى إلى ضده وهو التفاؤل، ومما يدل على تحريمه ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: " لا عدوى ولا طيرة" وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: " لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل" قالوا وما الفأل؟ قال ﷺ: الكلمة الطيبة" متفق عليه

واعلم أن التطير ينافي التوحيد من وجهين:

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غيره.

الثاني: أن المتطير تعلق بأمر لا حقيقة له.

***قوله ﷺ " وَلَا يَكْتُونُونَ "

*فيه أن الاعتماد على الكي والاستشفاء به مانع من تحقيق فضل السبعين ألف، ووردت في الكي أدلة كثيرة منها ما يدل على ذمه ومنها ما يدل على إباحته، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: " الشفاء في ثلاث: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كفي بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي"، وفي حديث جابر رضي الله عنه المتفق عليه: " وما أحب أن أكتوي" وفي الصحيحين أن النبي ﷺ كوى

سعد بن معاذ رضي الله عنه لما رمي في أكحلته، ولهذه الأحاديث اختلف العلماء في حكمه، والأظهر والله أعلم جوازه لاسيما عند الحاجة والأولى تركه، أما ما فعله قبل إصابة الداء فالأظهر كراهته وعليه يحمل النهي.

وجمع ابن القيم رحمه الله بين الأدلة بكلام جميل حيث قال: "تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع: أحدها بفعله، والثاني: عدم محبته له، والثالث: الثناء على من تركه، والرابع: النهي عنه، ولا تعارض بينها بحمد الله تعالى فإن فعله رضي الله عنه يدل على جوازه، وعدم محبته لا يدل على المنع منه، وأما الثناء على تاركه فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكرهية، أو عن النوع الذي لا يحتاج إليه بل يفعل خوفاً من الداء" [زاد المعاد (٦٥/٢)]

* فيه أن الكي من غير طلب غير داخل في حرمان الفضل، لأن المراد في حديث الباب طلب الاكتواء، أما من دون طلب فلا بأس به كأن يقول شخص لآخر أريد أن أكويك ففعل فلا بأس واختاره شيخنا ابن عثيمين رحمه الله. [انظر التعليق على مسلم (١/٧٤١)]

*** قوله رضي الله عنه " وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "

* فيه فضيلة التوكل وعظم منزلته، وأنه هو الجامع للأوصاف التي سبقته " وَلَا يَسْتَرْفِقُونَ. وَلَا يَتَطَيَّرُونَ. وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " فإنهم امتنعوا عن ذلك لتمام توكلهم على الله تعالى.

والتوكل هو: صدق الاعتماد على الله عز وجل، مع الثقة به، وفعل السبب.

(صدق الاعتماد): أن يفوض أمره إلى الله تفويضاً كاملاً، (والثقة بالله) أن يكون واثقاً بأن الله سيكفيه ويكون حسبه كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ سورة الطلاق: ٣، (وفعل السبب) أي فعل السبب الحسي المأذون به شرعاً، فالتوكل لا بد له من " اعتقاد " و " اعتماد " وذلك بالثقة بالله، " وعمل بالأسباب ".

وعليه نقول التوكل لا بد له من أمرين :

١ - تفويض الأمر لله جل وعلا واعتماد القلب عليه مع صحة الإيمان والمعتقد .

٢ - فعل الأسباب التي أمر الله بها سواء كانت دينية كأداء الفرائض والبعد عن النواهي ، أو كانت دنيوية كالحرث والزراعة والتجارة ونحوها لأن النصوص كثيرة في الأمر بالتوكل ولا بد من فعل السبب ، وأما أن يقول الإنسان لن أفعل السبب لأنني متوكل على الله جل وعلا فهذا فهم خاطئ فهذا يسمى تواكل لا توكل.

ودل على مشروعية فعل الأسباب بعد التوكل على الله الكتاب والسنة والإجماع والعقل:

فمن الكتاب: قول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ آل عمران: ١٥٩، فالعزيمة سبب لا بد منه مع التوكل.

ومن السنة: أفعال النبي ﷺ تدل على فعله للسبب مع توكله وهو إمام المتوكلين فقد كان يُعدُّ العدة قبل خوضه للمعارك ويهيء أسبابها ويرفع يديه للسماء يدعو " اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم " رواه مسلم من حديث عبدالله بن أبي أوفى ، وأرشد في طلب الرزق من الله ﷻ التوكل عليه وفعل السبب فقال ﷺ: " لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس " رواه البخاري من حديث أبي هريرة والنصوص الدالة على ذلك كثيرة.

والإجماع، قال ابن القيم: " وَأَجْمَعَ الْقَوْمُ عَلَى أَنَّ التَّوَكُّلَ لَا يُنَافِي الْقِيَامَ بِالْأَسْبَابِ . فَلَا يَصِحُّ التَّوَكُّلُ إِلَّا مَعَ الْقِيَامِ بِهَا، وَإِلَّا فَهُوَ بَطَالَةٌ وَتَوَكُّلٌ فَاسِدٌ " [مدارج السالكين ٢ / ١١٧]

وأيضاً دلالة العقل عليها فليس من التوكل أن يترك الإنسان الأسباب في جلب الولد مثلاً كالنكاح ويقول أريد بتوكلي على الله جل وعلا أن يرزقني ولداً وكذا في الرزق وغيرها من الأمور فلا بد من الشرطين: حقيقة الاعتماد على الله ﷻ مع فعل الأسباب .

فالشيخ الإسلام ابن تيمية: " التوكل المأمور به هو ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع ، فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل ، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع " [الفتاوى ١٠ / ٣٥]

وكثير من الناس يخلط في قضية فعل السبب بين مغالٍ ومفرط، وليبيان ذلك يقال في التوكل وفعل الأسباب عدة أمور:

أولاً: لا بُدَّ من فعل السبب مع التوكل، وفعل السبب لا يقدر في التوكل، فالنبي - ﷺ - أعظم المتوكلين، وكان يأخذ بالأسباب يأخذُ زاده في السفر، ويلبس درعه في الحرب، ويستأجر من يده على الطريق في غزواته ونحو ذلك.

ثانياً: ادعاء التوكل بالاعتماد على الله من دون فعل الأسباب طعنٌ في حكمة الله - تعالى - لأنَّ الله جعل لكل شيء سبباً، فادعاء ذلك لا يسمى توكلاً بل توكلاً.

ثالثًا: الاعتماد على الأسباب وحدها دون الالتفات إلى الله - تعالى - نوعٌ من أنواع الشرك بالأسباب.
رابعًا: جعلُ أكثرِ الاعتماد على الأسباب نقصٌ في التوكُّل على الله - تعالى - لأنه قدح في كفاية الله تعالى.

والتوكل على الغير له أنواع:

الأول: التوكُّل على الغير فيما لا يقدر عليه إلا الله - تعالى - من جلب المنافع ودفع المضار، فهذا شرك أكبر، كأن يعتمد على ميت في جلب منفعة أو دفع مَضْرَءة، وهذا يسمى "توكُّل السر"، وهو شرك أكبر؛ لأنه يعتقد أن لهذا الميت تصرفًا سرّيًّا في الكون.

الثاني: التوكُّل على الغير من الأحياء فيما يقدر عليه مع الشعور بعلو مرتبته، فهذا شرك أصغر؛ بسبب قوة تعلق القلب بهذا الإنسان، واعتماده عليه مع إغفاله أنه سببٌ من الأسباب وأنَّ الله - عزَّ وجلَّ - أجرى على يديه هذه النعم، كمن يعتمد على ملك أو وزير أو مسؤول، أمَّا إذا اعتقد الإنسان أن هذا سبب، وأنَّ الله - تعالى - أقدره على هذه النعم وأجراها على يديه، فحينئذ لا بأس بهذا.

الثالث: التوكُّل على الغير في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، فهذا لا بأس به، كأن يقول وكُلت فلانًا بكذا، وقد ذلَّ على جواز ذلك الكتابُ والسنة والإجماع، فقد قال تعالى عن يعقوب لبيه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ يوسف: ٨٧، ووكل النبي - ﷺ - أبا هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - على الصدقة؛ كما في صحيح البخاري، ووكل النبي - ﷺ - عليًّا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في ذبح بقية بُدنه، يذُبحها في حَجَّة الوداع؛ كما في "صحيح مسلم".

ومما سبق يتبيَّن أن هناك من التوكل ما هو عبادة وهو التوكل على الله تعالى، ومن التوكل ما ليس بعبادة إذ أن المتوكل لا يشعر برغبة ولا رهبة تجاه من أوكله، بل يشعر أنه دونه وفَوْض مهمة إليه كمن يوكل ابنه باستلام غرض دنيوي له، ونحو ذلك، وعليه يقال: إن ألفاظ الناس في التوكل على أنواع:

الأول: أن يقول توكلت على الله تعالى في كذا وكذا، فهذا مشروع بل مطلوب وبه يتحقق التوحيد، لأن التوكل الذي قصده عبادة ولا تصرف إلا لله تعالى.

الثاني: أن يقول توكلت على فلان في فعل كذا وكذا مما يستطيعه، كأن يوكل ابنه في عمل ما، فهذا لا بأس به؛ لأنه لم يرد بذلك توكل العبادة وإنما تفويض الأمر لمن هو دونه فهذا جائز لخلوه من الرغبة والرغبة.

الثالث: أن يقول توكلت على الله وعليك، فهذا حرام بلا إشكال بل هو شرك؛ لأنه شَرَك بين الله تعالى وبين غيره بحرف يقتضي التشريك وهي الواو.

الرابع: أن يقول: توكلت على الله ثم عليك، فهذا جائز باعتبار أن التوكل على الله تعالى عبادة والتوكل على الغير فيما يستطيعه من باب التفويض إليه لا التعبد، لأنه يعتقد أن الله فوق مرتبة المتوكل عليه، لكنه لفظ موهم ينبغي الابتعاد عنه وعدم التعبير به.

قال شيخنا ابن عثيمين: " لا ينبغي أن يعبر بهذا التعبير؛ لأنه إذا عبر بهذا التعبير، فسيظن الظان أن التوكل على الآخر توكل عبادة، ولذا نقول: اجتنب هذا، هذا تشريك - وإن كان تشريكاً باللفظ - فلا يجوز" [التعليق على مسلم ١ / ٧٤٥ - ٧٤٦]

باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة

١٦٠- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قُبَّةٍ. نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا. فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالَ: قُلْنَا: نَعَمْ. فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» فَقُلْنَا: نَعَمْ. فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ. وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشَّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ. أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ.»

١٦١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ! وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ! قَالَ يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. قَالَ فَذَلِكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ { وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } قَالَ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا

ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «أَبْشُرُوا. فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا. وَمِنْكُمْ رَجُلٌ» قَالَ ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ. إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَّمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ».

ترجمة راويي الحديثين:

ابن مسعود رضي الله عنه، تقدمت ترجمته في الحديث الحادي والثلاثين من كتاب الإيمان.
وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه، تقدمت ترجمته في الحديث السابع من كتاب الإيمان.

تخريج الحديثين:

حديث ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه مسلم حديث " ٢٢١"، وأخرجه البخاري في " كتاب الرقاق " باب الحشر" حديث " ٦٥٢٨"، وأخرجه الترمذي في " كتاب صفة الجنة " باب ماجاء في وصف أهل الجنة" حديث " ٢٥٤٧"

وحديث أبي سعيد رضي الله عنه أخرجه مسلم حديث " ٢٢٢"، وأخرجه البخاري في " كتاب أحاديث الأنبياء " باب قصة يأجوج ومأجوج" حديث " ٣٣٤٨".

ألفاظ الحديثين:

- " لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ! " : اللب بفتح اللام معناه الإجابة، والسعد المساعدة والإسعاد كأنه قال: لباً لك وإسعاداً لك، ثناهما لبيك وسعديك للتكثير والتأكيد أي: إجابة لك بعد إجابة، وإسعاداً لك بعد إسعاد.

- " وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ! " : أي تملكه أنت لا يملكه غيرك، كقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ سورة آل عمران: ٢٦ .

- " أَخْرَجَ بَعَثَ النَّارِ " : وفي لفظ البخاري: " أخرج بعث جنهم من ذريتك"، قال النووي رحمه الله: " معناه

ميّز أهل النار من غيرهم " [شرح مسلم (٩٢/٣)]

- " وَمَا بَعَثُ النَّارِ؟ " قال ابن حجر رحمه الله: " الواو عاطفة على شيء محذوف تقديره: سمعت وأطعت وما بعث النار؟ وما مقدار مبعوث النار؟ " [الفتح (٣٨٩/١١)]
- " فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ " قال ابن حجر رحمه الله: " فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ " وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما "فشق ذلك على القوم ووقعت عليهم الكآبة والحزن" وفي حديث ابن عباس عن الترمذي. " فأنشأ المؤمنون ييكون " [الفتح (٣٩١/١١)]
- " أَبَشِّرُوا " : البشارة الإخبار بما يسر .
- " فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا . وَمِنْكُمْ رَجُلٌ " : قال ابن حجر رحمه الله: " ظاهره زيادة واحد عما ذكر من تفصيل الألف، فيحتمل أن يكون من جبر الكسر والمراد أن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين أو ألفاً إلا واحد " [الفتح (٣٩١/١١)]
- " شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ " : الشطر نصف الشيء، ولذا في حديث ابن مسعود رضي الله عنه في الباب قال النبي ﷺ: " إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ "
- " كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ " : قال النووي رحمه الله: " هي بفتح الراء وإسكان القاف، قال أهل اللغة: الرقمتان في الحمار هما الأثران في باطن عضديه، وقيل: هي الدائرة في ذراعيه، وقيل: هي الهنة الناتجة في ذراع الدابة من داخل والله أعلم بالصواب " [شرح مسلم (٩٣/٣)]

من فوائد الحديثين:

-الفائدة الأولى: الحديثان يدلان على فضل هذه الأمة وأنها نصف أهل الجنة، وهذا من فضل الله عز وجل وكرمه، وجاء عند أحمد في مسنده، قول النبي ﷺ: " أهل الجنة عشرون ومائة، منهم ثمانون من هذه الأمة " والحديث رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وظاهر الحديث أنهم أكثر من النصف، والجمع بين الحديثين:

قال النووي رحمه الله: " فهذا دليل على أنهم يكونون ثلثي أهل الجنة، فيكون النبي ﷺ أخبر أولاً بحديث الشطر، ثم تفضل الله سبحانه بالزيادة فأعلم بحديث الصفوف، فأخبر النبي ﷺ بعد ذلك " [شرح مسلم (٩٠/٣)]

-الفائدة الثانية : قول النبي ﷺ " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ " دلالة على جواز الحلف من غير استحلاف لاسيما عند بيان الأمور المهمة، وفيه إثبات صفة اليد لله تعالى، وأهل السنة والجماعة يثبتون أن الله تعالى يدين إثباتاً يليق بجلاله على الوجه الأكمل من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل، وتقدم التفصيل

في مباحث هذه الصفة قريباً عند شرح حديث " مَا أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزَلَةٌ " عند قوله تعالى " أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ عَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ".

-الفائدة الثالثة: قول النبي ﷺ " وَذَٰكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُّسَلِّمَةٌ " دليل على أن من مات على الكفر يجرم عليه دخول الجنة وهذا حكم ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ والدلالة على هذه الحقيقة كثيرة.

-الفائدة الرابعة: الحديثان يدلان على أن هذه الأمة بالنسبة للأمم السابقة الكافرة قليلة جداً، فهي كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض.

-الفائدة الخامسة: في الحديثين حسن تعليم النبي ﷺ وتقريب العلم بضرب المثال وهو أسلوب دعوي جاءت به نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، ومن حسن تعليمه ﷺ الاستفهام " أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ " والتدرج في بيان العطاء ولا يخفى ما في هذا من التشويق والتأثير وبيان الإكرام.

قال النووي رحمه الله: " وأما قوله ﷺ " ربع أهل الجنة ثم ثلث أهل الجنة ثم الشطر " ولم يقل أولاً " شطر أهل الجنة " لفائدة حسنة، وهي أن ذلك أوقع في نفوسهم، وأبلغ في إكرامهم، فإن عطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته، وفيه فائدة أخرى هي تكريره البشارة مرة بعد أخرى، وفيه حملهم على تجديد شكر الله تعالى وتكبيره وحمده على كثرة نعمه والله أعلم " [شرح مسلم (٩٠/٣)]

-الفائدة السادسة: حديث أبي سعيد رضي الله عنه فيه إثبات صفة الكلام لله تعالى، بقوله: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ! " ففي قوله " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ! " وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الكلام لله تعالى إثباتاً يليق بجلالة من غير تحريف ولا تكييف ومن غير تمثيل ولا تعطيل، وتقدم الكلام قريباً بالتفصيل على هذه الصفة في عدة مباحث وبيان من خالف من المبتدعة والرد عليهم في حديث أبي هريرة وحديث أبي سعيد رضي الله عنهما في سؤال الصحابة النبي ﷺ " هل نرى ربنا؟ "

-الفائدة السابعة: حديث أبي سعيد رضي الله عنه فيه فضيلة آدم عليه السلام وحسن أدبه وخطابه مع الله تعالى حيث قال: " لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ! وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ! " ففي قوله: " وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ! " أدب مع الله تعالى، فلم يقل: " والشر " مع أنه بتقدير الله تعالى.

-الفائدة الثامنة: في قوله: " يَا آدَمُ أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ " فيه دلالة على أن يأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم.

قال ابن كثير رحمه الله: " هم من ذرية آدم بلا خلاف نعلمه " ثم ذكر حديث أبي سعيد رضي الله عنه في الباب، ثم قال: ... وهكذا من زعم أنهم على أشكال مختلفة وأطوال متباينة، فمنهم من هو كالنخلة السحوق، ومنهم

من هو غاية في القصر، ومنم من يفترش أذناً من أذنيه ويتغطى بالأخرى، فكل هذه أقوال بلا دليل، ورجم بالغيب بغير برهان، والصحيح أنهم من بني آدم وعلى أشكالهم وهيئاتهم" [البداية والنهاية (١٠٩/٢ - ١١٠)]

-الفائدة التاسعة: في حديث أبي سعيد رضي الله عنه إثبات قيام الساعة، وفيه شيء من حال الناس يومئذ من شيب الصغير وكون الناس كالسكارى لشدة هول ما يرون، ولقد ذل على هذه الحال الكتاب والسنة.
قال ابن كثير رحمه الله: " ومعنى قوله تعالى: ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ سورة المزمل: ١٧ أي من شدة أهواله وزلازله وبلابله، وذلك حين يقول الله لآدم: " أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ " [تفسير ابن كثير (٢٥٦/٨)]
وقال " وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى " أي من شدة الأمر الذي صاروا فيه قد دهشت عقولهم، وغابت أذهانهم، فمن رآهم حسب أنهم سكارى" [تفسير ابن كثير (٣٩٤/٥)]

-الفائدة العاشرة: في الحديث بيان ما كان عليه الصحابة من الخشية والخوف حيث اشتد عليهم ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من عدد بعث النار ومن أهوال يوم القيامة، وهكذا القلوب الحية لا تمر بها نصوص الوعد والوعيد إلا وقد أخذت مأخذها من القلب، وتقدم في روايات أخرى ظهور الكآبة الحزن على وجوههم وبكاؤهم.
-الفائدة الحادية عشر: في الحديث أن هدي النبي صلى الله عليه وسلم البشارة لقوله " أَبَشِّرُوا " فتستحب البشارة ولما فيها من إدخال السرور، وتخفيف المصائب.

-الفائدة الثانية عشر: في الحديث دلالة على مشروعية التكبير والتحميد عند الفرح والسرور وعند استعظام الأمور.

-الفائدة الثالثة عشر: الحديثان يدلان على كثرة أهل النار، وقلة أهل الحق في أهل الباطل، نسأل الله تعالى السلامة والنجاة والخاتمة على التوحيد الخالص له سبحانه، وحسن العفو عن التقصير والزلل، وحسن القبول لهذا الجهد اليسير وغيره من الأعمال، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم بحمد الله تعالى الانتهاء من كتاب الإيمان يوم الثلاثاء العاشر من شهر جمادى الأولى عام ألف وأربعمائة وخمس وثلاثين من الهجرة والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفهرس

الصفحة	اسم الباب	الصفحة	اسم الباب
٧٨	باب بيان أن مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعاة ولا تنفعه قرابة المقربين	١	المقدمة
٨٠	باب في قوله تعالى وأندر عشيرتك الأقربين	٣	باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام وفي قوله حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه
٨٤	باب شفاعاة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه	١٢	باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى
٨٧	باب الدليل على أن مات على الكفر لا ينفعه عمل	١٩	باب معرفة طريق الرؤية
٨٩	باب موالاتة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم	٤٠	باب آخر أهل النار خروجا
٩١	باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب	٤٥	باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها
١٠٤	باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة	٧٠	باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً